وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية

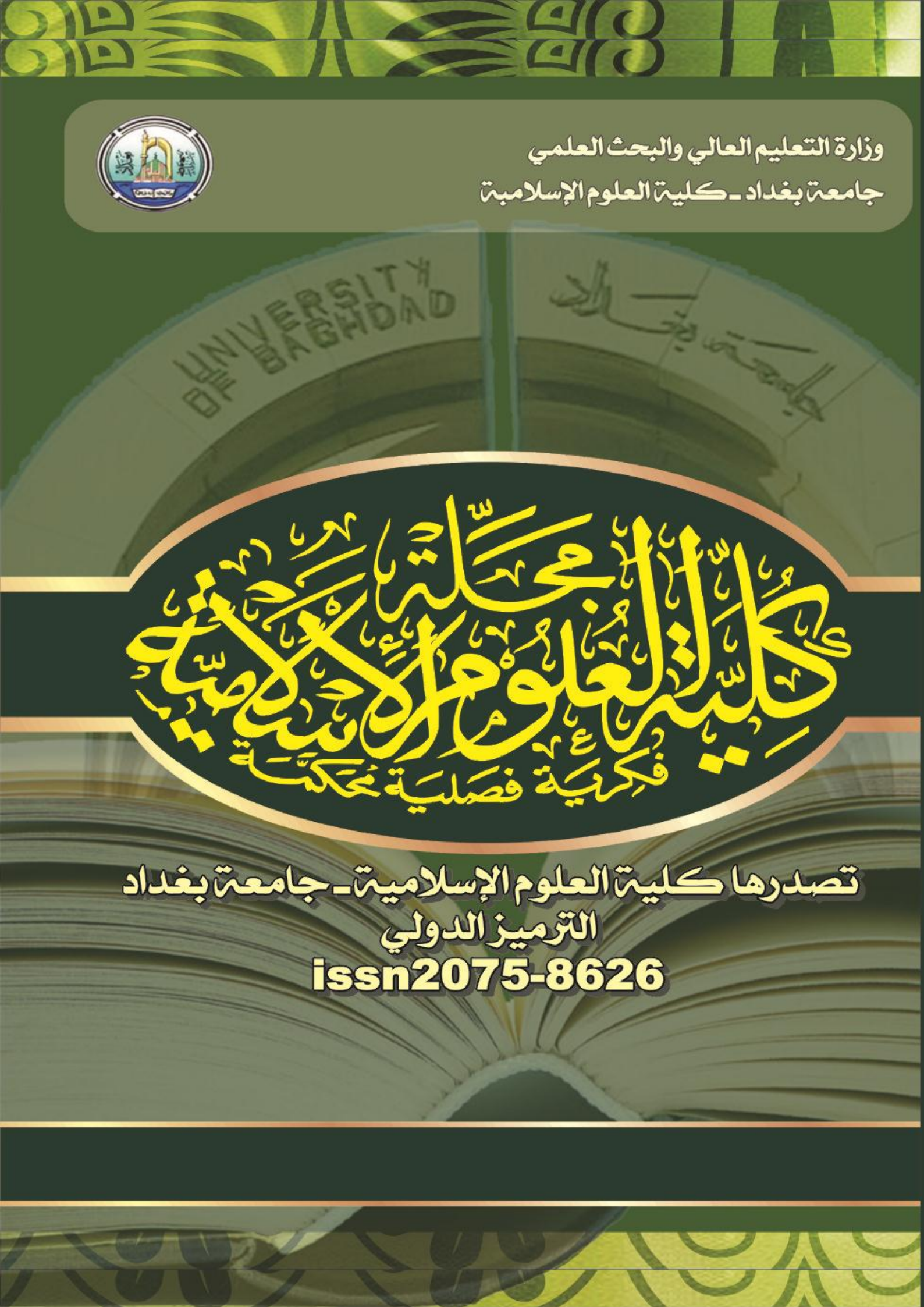

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية فصلية محكمة

تصدرها كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد
الترميز الدولي
issn2075-8626

مجلة كلية العلوم الإسلامية

فكرية –فصلية - محكمه

تصدرها

كلية العلوم الإسلامية

جامعة بغداد

العدد:١٧

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٦٣٣) لسنة ١٩٩٦

محتويات العدد ١٧

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
علم المناسبة بين ايات القران	د. احمد عبد الستار م.م. حقي اسماعيل فياض	١
القنوط في القران	د. احمد جلوب	٣٧
من مصطلحات التظيم الاجتماعي	د. زياد علي دايح	٧٩
الوسائل التي استخدمها النبي في تعليم الصحابة	د. ضياء محمد محمود	١٣٧
موقف الشرع من التماثيل والنصب التاريخية	د. عبد الرحمن احمد د. قصي سعيد احمد	٢٢٢
حق تاديب الزوج لزوجته	د. اسماعيل ابا بكر د.مصطفى محمد امين	٢٧٧
مصنفو الفقه الحنبلي	د. علي حسين جاسم	٣١٣
الكرامة في كتب العقيدة	د،احسان لطيف احمد	٣٧٢
الطبقية واثرها على المجتمع	د. عبد هادي فريح	٤٢١
الدروس المستخلصة من شخصية صلاح الدين الايوبي وسياسته	د.عبد العادي محمد عباس م.م. احمد طارق حمودي	٤٦٥
ردود العيني النحوية على ابن مالك في كتابه عمدة القارى	د. محمد جاسم عبد الساطوري	٤٩٨
دلالة الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد في ديوان الشافعي	د. نافع سلمان جاسم	٥٣٩
الزمن في ما ومهما الشرطيتين	د. محمد خالد رحال	٥٩٤
الا التي للتمني بين سيبويه والنحاة	م.م. عبد الرزاق علي حسين	٦٢٢
روية اسلوبية للاعتراض في الخطابا لقراني	د. عدنان اسم محمد	٦٤٦
اصول بنية ضمائر الرفع دراسة لغوية	م.م. زيدون فاضل عبد	٦٨٥
شاعرات عراقيات منسيات	د. احمد حميد كريم العزاوي	٧٣٤
مستوحى الشعراء في ظل الدولتين الزنكية والايوبية	م.م. ايناس عبد الرحمن	٧٨٧

رؤية أسلوبية لاعتراض في الخطاب القرآني

د. عدنان جاسم محمد الجميلي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَـذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الاحقاف : الآيا ٢٤)

المقدمـــة

الحمد لله رافع السماوات بلا عمد والصلاة والسلام على رسوله الكريم محمد بن عبد الله ﷺ رافع لواء المجد ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بلا عدد .

أمـا بعـد ...

فالدرس الأ سلو ي الحديث أصبح أكثر التزاماً بالحدود العلمية التي آمن بها ، وأكثر ثقة بنفسه ، ولم يعد مجرد إجراء علمي مساعد لمناهج وعلـوم أخرى سبقته .

وتأسيساً على ذلك نهض بحثنا المتواضع ((**رؤية أسلوبية للاعتراض في الخطاب القرآني**)) ليستجلي ظاهرة بلاغية فنية أشتمل عليهـا لـنص القرآني الكريم ، وقد عمدنا في رؤيتنا على استحضار الإجـراء الأسـلوبي الحديث في دراسة نص تراثي خالد ، بعيداً عن التقييم ، مؤكدين على التحليل الفني الجمالي ؛ لأن التحليل موقف يتيح لنا رؤية الكثير واستيعاب الغريـب بوضوح أكثر .

ولما كان الترتيب الأفقي للعناص ر اللغوية تتقابل فيه عناصر غير مميزة أسلوبيا مع أخرى مميزة ، فقد برز الاتجاه الآخر الـذي يـؤمن أن التميـز الأسلوبي في حقيقته ينشأ عن طريق الظهور المفاجيء للعناصر اللغوية مـن

غير أن يكون في السياق الذي قبلها أية إشارة الى احتمال استعمالها أو توقعها .

وبناء ى ذلك فالاعتراض يمثل العدول والانزياح التركيبي داخل سياق الجملة يعمل على إحداث الخلخلة التركيبية التي تساعد على تجديد الأسلوب وإبعاد عن الرتابة والتعبير العادي .

يتناول البحث إجراء تحليل نصي لثي ة الاعتراض في الخطاب القرآني منطلقين من فرضية مؤداها تعدد القراءة الأسلوبية للدارسين قديماً وحديثاً من خلال وجهة نظر أسلوبية تختلف عن الدراسات المعاصرة) التي تناولت الاعتراض . وسنسبر غور الجوانب الفنية فيه وتقوم المعالجة الأسلوبية على التكثيف والجدة ومعرفة مدى همية الاعتراض داخل الجملة والنص والتغيرات التي ي ركها فيه .

وقد آثرت أن أسلط الضوء في هذا البحث على بواكير الدراسات البلاغية التي تناولت الاعتراض ، مبتدئين بتعريفه لغة واصطلاحاً ، ثم آراء البلاغيين العرب القدامى في تعريفه ، كذلك أثر الاعتراض في تجديد الأسلوب ثم تطرقت الى الأغراض والدواعي البلاغية التي يخرج إليها

) من هذه الدراسات كتاب الدكتور فتح الله أحمد سليمان (الأسلوبية مدخل نظري ودراس ـ ة طبيقية) ؛ إذ طبق دراسته على شعر محمود سامي البارودي ، وتناول في الفصل الخاص بالاعتراض الجملة الاعتراضية بين المسند .

والمسند إليه ، أو بين الفعل والفاعل ، أو بين النعت والمنعوت ، أو بين القول ومقوله من غير أن يتطرق الى الدواعي البلاغية للاعتراض . (نظر : الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبي ـ ة من ص ٧٣ - ٢٠٤) .

الاعتراض وكانت طريقتنا في ترتيب هذه الأغراض والدواعي على أســـاس مدى شيوعها وتكرارها أكثر من غيرها لتحتل السبق في الحديث عنها ثم تلي ذلك الأغراض الأخرى .

وبعـد ...

فاني قد بذلت جهدي المستطاع في سبيل إكمال البحث متمنيا أن أكون قد وفقت فيه فإن أصبت فواجبي هداني الله الى إتمامه وإن تعثرت فالإنسان خطّاء ما حيا والعصمة لله ولكتابه والله الهادي الى سواء السبيل .

مفهـــوم الاعـــتراض

لغـــة واصـطلاحـــاً

يعرّف الاعتراض لغة : الدخول ـ ن شيئين أو الحيلولـــة دون بلـــوغ الشيء ، جاء في اللسان الفعل اء رض يعني " انتصب ومنع وصار عارضاً كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها ويقـــال اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه ") .

أما الاعتراض اصطلاحاً : " فهو أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين في معناهما بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتـــة بلاغيـــة سوى دفع الإيهام ") .

الكتابات التأسيسية للاعتراض في البلاغة العربية :

حفل الدرس البلاغي عند العرب بحديث مسهب عن الاعتراض وأطلق البلاغيون القدامى مصطلحات عدة على هذا الفن منها (إصـــابة المقـــدار و(التتميم) و(الاستدراك) و(لاحتراز) و(الحشو) . فقد ذكره الجـــاحظ (د ٥٥) هج وأسماه (إصابة المقدار)) . ودرسه ابن المعتـــز (د ٩٦) هج عندما قسم محاسن الكلام الى ثلاثة عشر قسماً وضـــع (الاعتـــراض)

) لسان العرب : مادة عرض

) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، ٨٠ .

) البيان و تبين ٢٢٨ .

المحسن الثاني ويعني لديه " اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه " [1] ثم أتى قدامة بن جعفر (د ٣٧٠) هج وأطلق على الاعتراض مصطلح (التتميم) [2] في حين ذكره أبو هلال العسكري (د ٣٩٥) هج وعرّفه بقوله : " اعتراض كلام في كلام لم يتم ثم يرجع إليه فيتمه " [3] ونصل الى ابن رشيق القيرواني (د ٤٦٣) هج فنراه يوضح كيفية حدوث الاعتراض الذي يسميه البعض كما يقول (لاستدراك) ويعرّفه بقوله : " يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول الى الثاني ثم يعود الى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول " [4] .

ويطالعنا رأي آخر لابن سنان الخفاجي (د ٤٦٦) هج فيسمي هذا الضرب (الاحتراز) ويعني (الاحتراس) فيقول : " أما التحرز مما يوجب الطعن فأن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن ، فيأتي مما يتحرز به من ذلك الطعن " [5] .

ويعرفه أسامة بن منقذ (د ٥٨٤) هج فيقول : " الاعتراض هو أن تذكر في البيت جملة معترضة ، لا تكون زائدة بل يكون فيها فائدة " [6] وأدخله السكاكي (د ٦٢٦) هج في المحسنات المعنوية وقال فيه : " ويسمى الحشو

---

[1] البديع ٥٩ .

[2] نقد الشعر ١٥٧ .

[3] كتاب الصناعتين ٣٩٤

[4] العمدة ٤٢

[5] سر الفصاحة ٢٦٥ .

[6] البديع في نقد الشعر ١٣٠ .

وهو أن تدرج في الكلام ما يتم المعنى بدونه ") ولم يخرج ابن الأثير (د ٣٧٠) هج عن هذا الفهم فقال : " وبعضهم يسميه الحشو وحدّه كل كلام أدخل فيه لفظ مفرد أو مركب لو أسقط لبقي الأول على حاله ") وعرفه الخطيب القزويني (د ٧٣٩) هج : " أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الأعراب لنكتة سوى دفع الإيهام ") وعرّفه الجرجاني (د ٨١٦) هج فقال : " هو أن يأتي في أثناء كلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة سوى دفع الإيهام ويسمى الحشو ") في حين تحدث ابن حجة الحموي (د ٨٣٧) هج عن الاعتراض فقال : ' عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا في القبول منه حشو اللوزينج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو أن الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم ") ولم يخرج السيوطي (د ٩١١) هج عن آراء السابقين فعرفه بالقول : " وهو الإتيان بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب في أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الإيهام ") .

) مفتاح العلوم ٦٦٧ .

) المثل السائر ٢ ٤٠ .

) الإيضاح ٩٤ .

) التعريفات ٤٧ .

) خزانة الأدب ٢٨٠ .

) الإتقان ٢ ٢٢٣ .

الاعتراض تجديد لرتابة الأسلوب :

يمثل الاعتراض نوعاً من أنواع الانتهاك الأسلوبي عن طريق إدخال جملة أو أكثر في أثناء الكلام المعتمد طريق الحقيقة ، أو بمعنى آخر بين كلامين متصلين على معنى الحقيقة يفيد زيادة في غرض المبدع بمقدار مستوى الاختراق القاعدي) . فالاعتراض يخرق الجملة القائمة على التسلسل القاعدي ، والأصل في الجملة أن تتصل أجزاؤها لتتضح فيها الرتبة والاختصاص والعلاقة .

وهنا تأتي أهمية الاعتراض بوصفه نوعاً مهماً من أنواع العدول الأسلوبي الذي يحقق غايات وأغراض بلاغية فنية تثير الإعجاب والرضا في القاريء والمتلقي . فالنفس الإنسانية تواقة دوماً الى معرفة المبهم والتعرف على تفاصيل المعدول به .

وإذا أنعمنا النظر في الفكر اليوناني ، نجد أرسطو يتحدث عن الاعتراض في معرض حديثه عن إدخال كلام بين أجزاء كلام آخر وهو يتطرق الى موضوع - سلامة الأسلوب - غير أنه يرى فيه شيئا مفسداً لرونق الكلام ! من محسناته) . وفي رؤية أرسطو هذه نقيض لرؤية البلاغة العربية) . التي رأت في الاعتراض ما ـ زيد الأسلوب رونقاً

) ينظر : خزانة ا ب ، ٢٨٠ .

) ينظر : الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز ، مجيد عبد الحميد ناجي ٢٧٩

) ينظر : بديع : ٥٩ .

وحسناً . فالاعتراض له غرض بلاغي فني ، يكاد يكون ضرورياً من حيث المعنى ، فضلاً عن تحسين الكلام وزيادة روعته وبلاغته [1] .

فالأغراض الأسلوبية تتيح العدول عن الأصل عن طريق اعتراض مجرى الكلام . بجملة تكون غريبة وغير مألوفة في سياق الكلام لكنها في الوقت نفسه تعمل على تجديد الأسلوب وإبعاده عن الرتابة والملل والتعبير العادي . وتمنح القاريء والمتلقي إعجاباً بطريقة الإبداع اللغوي الذي وردت فيه صياغة لاعتراض .

طرق الاعتراض ودواعيه البلاغية في الخطاب القرآني :

. التنزيه والتعظيم : قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ آل عمران ٣٦) فقول ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴾ وقول ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ جملتان معترضتان [2] . وانما ذكرت " ذلك لربها تقرباً إليه وطلباً ؛ لأن يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها فان مريم في لغتهم العابدة " [3] فدلالة هذا الاختراق

---

[1] ينظر : الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز ٨١ .

[2] ينظر : الكشاف ، الزمخشري ١٧٠ ؛ تفسير النسفي ، النسفي ٢١١ ، الايضاح ١٩٦ ، تفسير البيضاوي ، البيضاوي ١٤ ، تفسير أبي السعود ، أبو السعود ٢٨ ، التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ٢٣٣ .

[3] تفسير البيضاوي ١٤ .

الاعتراضي ـ و تعظيم الموضوع ور ـ ع منزلة الم ـ ود) . فنـــرى فائدة " الاعتراض التنبيه الى سبق علم الله بذلك ") ويمكننـــا أن نـــدرك الطبيعة التركيبية لهذا الاعتراض في الرسم التوضيحي ا ل تي

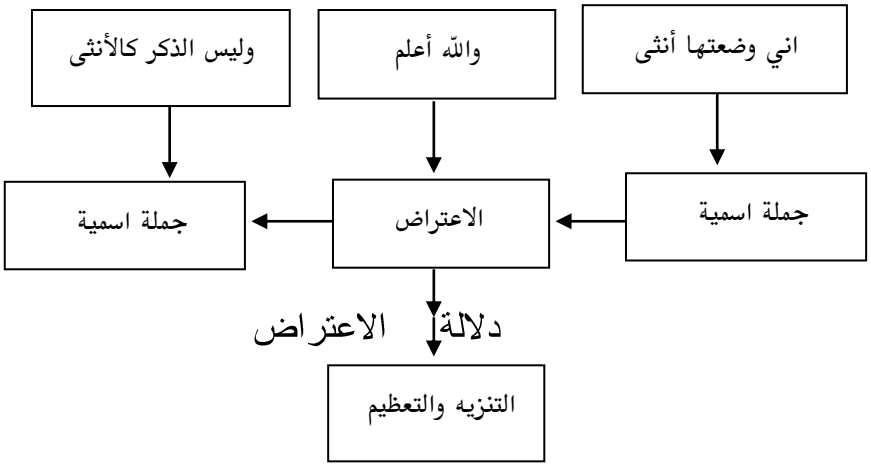

وق ـ ال تعـــالى ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ۞ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (آل عمران ١٢٧ - ٢٨)

فالمتأمل في الخطاب الكريم يلمح قول ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ وهو اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه القصد منه تنبيه النبي مـ مـــد

) ينظر : روح المعاني ، الآلوسي ١٣٠ ، بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني ، توفيق الفيل : ٦٨ ، البلاغة الاصطلاحية ، عبدة عبد العزيز قلقيلة ٢٨٠ .

) البيان في روائع القرآن ، تمام حسان ١١٥ .

ﷺ الى أن النصر والهزيمة بأمر الله وحده ولتعظيم الباري ﷻ) وقال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام ٨٤) فالاعتراض وقع في قوله ﴿ كُلًّا هَدَيْنَا ﴾ فقوله هديناهم يعني إبراهيم وإسحاق فحذف المضاف إليه وذلك بسبب ظهوره وعوض عنه بالتنوين في (كل) وهو تنوين عوض عن المضاف إليه) . ودلالة هذا الاختراق الاعتراضي هو التنويه بإسحاق ويعقوب فهما من الأنبياء الذين هداهم الله كهديه لإبراهيم فضلا عن دلالة إبطال الشرك ودمغ لقريش ومشركي العرب) فجاء الاعتراض ليؤكد الدلالة " على أن الله هدى أصولاً لإبراهيم كما هدى فروعه ليكون إبراهيم أوغل في الهداية ") , ـ ال تعالى ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام ١٠٦) فالناظر الى النص الكريم يطالع قوله ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وهو

) ينظر : الكشاف ١٩٤ ، تفسير النسفي ٢٥١ ، البحر المحيط ، ـ و حيان الأندلسي : ٧٩ ، تفسير البيضاوي ٣٧ ، تفسير أبي السعود ٨٢ ، روح المعاني ٢٦٥ ، التحرير والتنوير ٧٩ ، البيان في روائع القرآن ١١٦ .

) ينظر : التحرير والتنوير ٣٣٧ .

) ينظر : م. ن الصحيفة نفسها .

) البيان في روائع القرآن ١١٦ .

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أكد به إيجاب إتباع الوحي [1] . فالاعتراض وقع بين الأمرين الـ تعاطفين أي " إدماج التذكير بالوحدانية " [2] وإعلان التوحيد والتنزيه [3] .

وقال تعالى :﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ (يوسف ٧٣) فالنص الكريم شتمل على الاعتراض في قوله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ ﴾ ووقع بين القسم وجوابه . " وفائدته تقرير إثبات البراءة من الفساد والنزاهة من تهمة السرقة أي انكم قد علمتم هذا منا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه " [4] فالاعتراض لإثبات علم المخاطبين بمضمون جواب القسم [5] . وقال تعالى :﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ (النحل ٥٧) فالخطاب القرآني ورد فيه الاعتراض في قوله ﴿سُبْحَانَهُ ﴾ بين المعطوف عليه ﴿لِلَّهِ الْبَنَاتِ ﴾ وبين المعطوف وهو ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ ودلالة هذا الاعتراض هو التنزيه والتعظيم للباري ﷻ : ما

---

[1] ينظر : الكشاف ٣٤١ ، تفسير النسفي ٤٩٦ ، البحر المحيط ٢٥٦ ، تفسير البيضاوي ١٧٧ ،تفسير أبي السعود ١٧١ ، روح المعاني ٢٣٦ .

[2] التحرير والتنوير ٤٢٥ .

[3] ينظر: البيان في روائع القرآن ١١٦ .

[4] المثل السائر ٤٢ .

[5] ينظر : البيان في روائع القرآن ١١٧ .

يقوله هؤلاء والشناعة على ما يدعون) . وقال تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الْأِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمار ٤) فالاختراق الاعتراضي في قول ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾) . وهو انتهاك أسلوبي واقع في جملتين ، فعلية واسمية . ودلالة هذا الاعتراض التعظيم لقدر الأ م وما تكابده من المشاق في حمل الولد وتذكيراً بحق الأم وقد خصها بالذكر دون الأب) . وقال تعـ ى : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (ص ٣٩) فالحدس الشخصي يرشدنا الى الاعتراض في قول ﴿فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ ﴾ معترضتان بين قوله تعالى ﴿ عَطَاؤُنَا ﴾ وقول ﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾) .

) ينظر : ا ثل السائر ٢ ٤٢ ، تفسير النسفي ١٠ ، الإيضاح ١٩٤ ، الإتقان في علوم القرآن ٢ ٢٢٣ ، تفسير أبي السعود ١٢١ ، روح المعاني ٤٠٧ ، التحرير والتنوير : ٤ ١٨٢ ، علم ا ـ اني ، درويش الجندي ٨٥ ، في البلاغة العربية علم المعاني : حسن البنداري ٢٥٢ لاغة التراكيب ٢٦٥ علم المعاني تأصيل وتقييم : حسن طبل ١٣٣ .

) ينظر : المثل السائر ٢ ٤٣ ، تفسير النسفي ٢ ٢٨ ، الإيضاح ١٩٥ ، البحر المحيط : ٢٤٤ ، روح المعاني ١ ٨٥ ، البلاغة الاصطلاحية ٢٧٩ .

٢) ينظر : المثل السائر ٢ ٤٣ ، تفسير النسفي ٢ ٢٨ ، روح المعاني ١ ٥٨ .

.) ينظر : تفسير البيضاوي ٣٠ ، روح المعاني ١٢ ١٩٦ ، التحرير والتنوير ٣ ٢٦٧ .

ودلالته انه عطاء جم لا يكاد يمكن حصره) . أي " هذا عطاؤنا بغير حساب وجاء الاعتراض ليمنحه حرية التصرف فيما أعطاه الله ") .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد) فالناظر الى الخطاب القرآني يتجلى له قول ﴿ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وهو اعتراض بين المبتدأ والخبر) فالعدول الأسلوبي عن الحقيقة عبر الاعتراض " لتأكيد تعظيم شأن المنزل على محمد ﷺ لأن قوله تعالى ﴿ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴾ فيه تعظيم لشأن المنزل عليه ﷺ لأنه لا يصح الايمان ولا يتم إلا به وهذه الجملة المعترضة انما جيء بها لتأكيد هذا التعظيم ") وقال تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (الواقعة ٧٥ - ٧٧) فالحدس الشخصي يدلنا على وجود الاعتراض في النص الكريم في أكثر من موضع ، فنلاحظ قول ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ، كذلك الاعتراض في قول ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ بين الموصوف

) ينظر : تفسير البيضاوي ٣٠ ، روح المعاني ١٢ ١٩٦ ، التحرير والتنوير ٣ ٢٦٧ .

) البيان في روائع القرآن ١١٨ .

) ينظر : لكشاف ١٠١٧ ، تفسير النسفي ٣٦٢ ، البحر المحيط ١٠٢ ، تفسير البيضاوي ١١٩ ، روح المعاني ٣ ١٩٥ ، التحرير والتنوير ٦ ٢٤ - ٧٥ .

) من أسرار البلاغة في القرآن : محمود السيد شيخون ٢٩ .

وصفته [1] ودلالة هذا الاعتراض في الموضعين تعظيم القسم وتفخيم أمره ورفع شأنه [2] . فالملاحظ على هذا الاعتراض انه ورد بين القسم في قوله ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وبين جوابه الذي هو ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ كما ان النص الكريم اشتمل على اعتر ض آخر بين الموصوف الذي هو (قسم) وبين صفته في قول ﴿عَظِيمٌ﴾ الا وهو قول ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ ﴾ فالأصل أن يقول الخطاب القرآني من غير اعتراض (فلا اقسم بمواقع النجوم انه لقرآن كريم وانه لقسم عظيم لو تعلمون) [3] . فالاختراق الاعتراضي أفاد المعنى بنفس درجة العدول والتجاوز على الحقيقة مؤكداً معنى التعظيم ، فجاء الاعتراض عدولاً عن الحقيقة .

[1] . **التنبيه على أمر** : قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقر ٢) فالمتفحص للخطاب الكريم يرى

---

[1] ينظر : الكشاف ١٠٨٠ ، تفسير الرازي ، الرازي ٢٩ ١٦٥ ، تفسير النسفي ٧٢ : الإيضاح ١٩٥ ، البحر المحيط ٣٠٢ ، تفسير البيضاوي ١٨٢ ، تفسير لأبي السعود : ١٩٩ ، روح المعاني ٤ ١٥٢ .

[2] ينظر : المثل السائر ٤٣ ، علم المعاني ١٨٥ ، في البلاغة العربية علم المعاني ٢٥٣ ، البلاغة الاصطلاحية ٢٨٠ ، البيان في روائع القرآن ١١٨ .

[3] الخصائص : ابن جني ٣٣٥ .

قول ﴿وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ جملة اعتراضية أي (وأنتم قوم عادتكم الظلم) [1] .

ودلالة هذا الاختراق الاعتراضي تأكيد لظلمهم المستفاد من (اتخاذهم العجل إلهاً) [2] . ونستطيع أن نوضح الاعتراض في النص الكريم بالرسم الآتي :

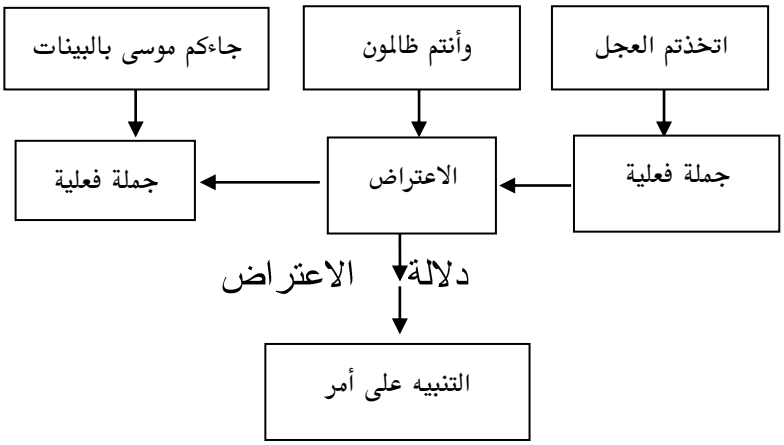

وقال تعالى :﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (النساء ٧٣) فالحدس الشخصي يدلنا على الاعتراض في قول ﴿ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾

---

[1] ينظر : الكشاف ٨٦ ، تفسير النسفي ٧١ ، تفسير البيضاوي ٩٤ ، تفسير أبي السعود ١٣٠ ، روح المعاني ٣٢٥ .

[2] ينظر : تفسير البيضاوي ٩٤ .

وقد ، ـ ع بين الفعل ومفع ـ ه . أي بين الفعل . (ليقولن) والمفعول وهـ ﴿ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾) . ودلالة هذا الاختراق الاعتراضي هو التنبيه على ضعف عقيدتهم) . فورد الاعتراض " للتعجيب من أمر المنافقين ") وقال تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (و ٤) فالعدول الأسلوبي جاء عبر الاعتراض بثلاث جمل هي (وغيض الماء ، وقضي الأمر ، واستوت على الجودي)) . فنلاحظ أن جملة (وقضي الأمر) اعتراض في اعتراض ، فكانت الجملتان (وغيض الماء) و (استوت على الجودي) متصلتان في معناهما ، فوردت (وقضي الأمر) واقعة اعتراض بينهما) . أي أن تلك الأمور العظيمة لا تتأتى الا من ذي قدرة لا يقهر ولا يغلب ألا وهو الله ﷻ وقال تعال : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ

) ينظر : الكشاف ٢٤٦ ، تفسير الرازي ٠ ١٤٣ - ١٤٤ ، تفسير النسفي ٣٣٣ ، البحر المحيط ٢ ٤١٦ ، تفسير البيضاوي ٢ ٨٣ ، تفسير أبي السعود ٢ ٢٠١ ، روح المعاني ٢ ٧٨ ، التحرير والتنوير ٠ ١٢٠ .

) ينظر: تفسير البيضاوي ٢ ٨٣ .

٢) البيان في روائع القرآن ٢ ١١٦ .

.) ينظر : الاتقان ٢ ٢٢٣ - ٢٢٤ ، البلاغة العربية ٢ ٨٢ .

٠) ينظر : المصادر نفسها ، الصحيفة نفسها .

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (النحل ٤٦) فالنص الكريم تضمن الاعتراض في قول ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فلا يمنعهم من أخذه إياهم تقلبهم شيء فضلاً عن انه لا يعجزه اجتماعهم وتعاونهم [1]. ودلالة هذا الاختر ق الاعتراضي هو التنبيه الى قدرته تعالى عليهم ولرعاية الفاصلة [2].

وقال تعالى ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النحل ١٠١) فإذا دعنا النظر في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ نلمس الاعتراض وقد ورد بين الشرط في قوله . (اذا) وبين جوابها [3]. ولهذا العدول الأسلوبي للاعتراض دلالته وهو " المبادرة بدحض ما يزعمه هؤلاء الضالون من افتراء محمد ﷺ للقرآن أو لهذا التبديل ، فتبديل آية أو نسخها بأخرى لا يكون إلا منا - جل شأنه - بمقتضى علمه الأزلي بمصالح الأمة وحاجات المجتمع الإسلامي " [4] فالاعتراض جاء " احترازاً من إفهام أن يكون التبديل بلا غاية ولا تدبير " [5] وقال تعالى : ﴿هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ (ص ٥٧) فالخطاب القرآني اشتمل على العدول

---

[1] ينظر : التحرير والتنوير ٤ ١٦٦ .

[2] ينظر : البيان في روائع القرآن ١١٧ .

[3] ينظر : تفسير الرازي ٢٠ ٩٣ ، المثل السائر ٢ ٤٣ ، تفسير النسفي ٢٢٦ ، تفسير البيضاوي ٢٤٠ ، روح المعاني ٤٦٦ ، التحرير والتنوير ٤ ٢٨٣ .

[4] علم المعاني تأصيل وتقييم ١٣٣ .

[5] البيان في روائع القرآن ١١٧ .

الأسلوبي عبر الاعتراض في قولـ ﴿ فَلْيَذُوقُوهُ ﴾ ـ د ـ ع بين المبتدأ والخبر [1] . والملاحظ على الاعتراض انه جاء مقترنا بالفاء التفسيرية التعقيبية [2] . ودلالة هذا الاعتراض هو بيان استحقاقهم أ ن يذوقوا العذاب وهو الحميم والغساق [3] .

٢ . **التصريح بما هو المقصود** : قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ۞ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقر ٢٢٢ - ٢٢٣) .

فإذا تدبرنا قوله تع لى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ يطالعنا الاعتراض بين قولـ ﴿ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ وبير

---

[1] ينظر : الخصائص ٣٤٠ ، تفسير النسفي ٢٠٠ ، روح المعاني ٢ ٢٠٦ ، التحرير والتنوير ٣ ٢٨٧ .

[2] ينظر : روح المعاني ٢ ٢٠٦ ، التحرير والتنوير ٣ ٢٨٧ .

[3] ينظر : البيان في روائع القرآن ١١٨ .

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾) . ودلالة هذا الاختراق الاعتراضي هو الحث على الطهارة ، وتجنب الإ بار) . فالواضح أن قوله ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ بيان لقول ﴿فَأْتُوهُنَّ﴾ وهذا بين أن المكان المقصود بالإتيان هو مكان الحرث ليدل على أن الغرض الأصلي من المباشرة ليس قضاء الشهوة وانما طلب النسل ") ويمكن لنا توضيح هذا الاعتراض بالمخطط الذي ا تهدنا في رسمه :

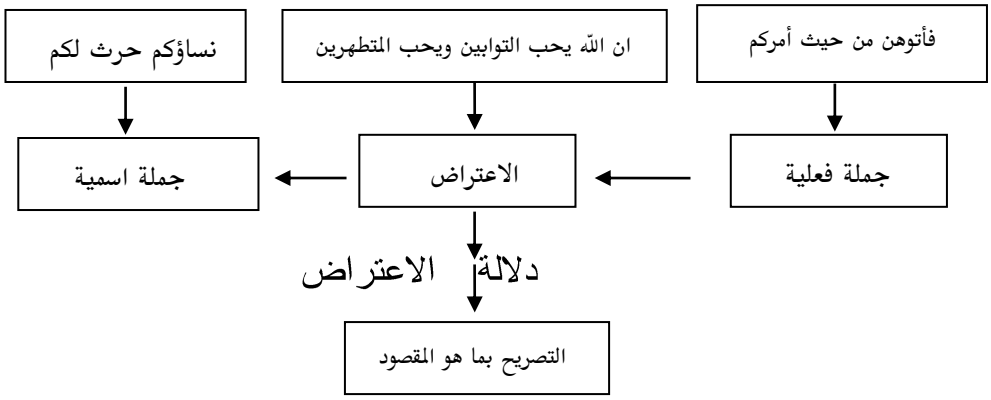

) ينظر : الإيضاح ١٩٦ ، الإتقان ٢٢٣ ، التحرير والتنوير ٣٧٠ ، من أسرار البلاغة في القرآن ٣٠ .

) ينظر : الاتقان ٢٢٣ ، من أ رار البلاغة في القرآن ٣٠ .

) بلاغة التراكيب ٢٦٨ ، وينظر : البلاغة الاصطلاحية ٢٨٠ .

وقال تعالى :﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَأُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ (الفتح ٢٥) فالخطاب القرآني في هذه الآية اشتمل على قول ﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ وهو اعتراض بين جملة ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وبين جملة ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ [1]. ودلالة هذا العدول الأسلوبي بالاعتراض هو أن " عدم دخول المسلمين مكة في هذه الغزوة كان رحمة بهؤلاء المؤمنين المستخفين" [2]

وقال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون ١) فالاختراق الاعتراضي جاء في النص الكريم بقول ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ وهي معترضة بين الجملتين المتعاطفتين [3]. ولهذا الاعتراض دلالته وهو رد التوهم على

---

[1] ينظر : التحرير والتنوير ٢٦ ١٨٩ ، البيان في روائع القرآن ١ ١١٨ .

[2] البيان في روائع القرآن ١ ١١٨ .

[3] ينظر : روح المعاني ١٤ ٣٠٣ ، التحرير والتنوير ٢٨ ٢٣٥ .

من يتوهم أن قوله ﷻ ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ هو تكذيب لجملة ﴿ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ؛ لأن المنافقين كانوا مبثوثين بين المسلمين ويتربصوا بالمسلمين الفتنة فكان المقام يتطلب رد التوهم عن طريق هذا الاعتراض ( ) .

. **انتهاز الفرصة المواتية والمبادرة لبيان أمر ذي أهمية** : ـ ال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۞ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ (البقر ١١٩ - ١٢٠) فإذا انعمنا النظر الى قوله ﴿ وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ يجده معترضا ليبين حكايات أحـ ال المشركين وأهل الكتاب ودلالة هذا العدول الأسلوبي للاعتراض هو تأنيس الرسول ﷺ وتسليته ، والأسف على ما لقيه من أهل الكتاب ( ) . ويمكننا أن نوضح الاعتراض في هذه الآية بالرسم الآتي :

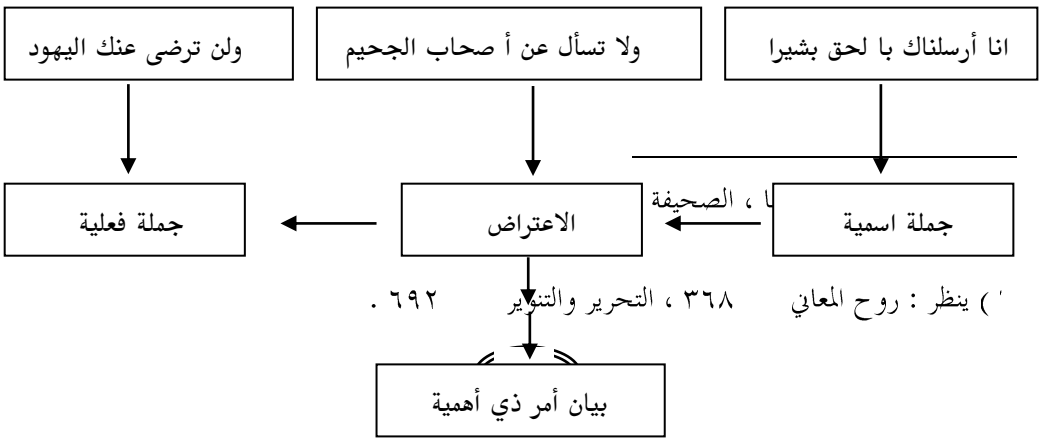

( ) ينظر : روح المعاني ٣٦٨ ، التحرير والتنوير ٦٩٢ .

دلالة الاعتراض

وقال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (يونس ٥٠) فالخطاب القرآني تضمن الاعتراض في قوله ﴿ مَاذَا يَسْتَعْجِلُ ﴾ [١]. والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان [٢].

فجاء " الاعتراض بالشرط بين عناصر مفسر الجواب إذ لو كان (ماذا يستعجل) ـ و جواب الشرط لاقترن الجواب بـ ـاء لكون الجواب يبـ ـدأ ـ (ما) والتقدير : قل أرأيتم الوعد ماذا يستـ جل منه المجرمون إن اتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً " [٣]

وقال تعالى : ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ (الطور ٢٩) .

فالحدس الشخصي يدلنا على الجملة المعترضة بين اسم ما وخبرها لتعجيل المسرة [٤]. وإظهار أن الله أنعم عا ه بالبراءة من هذين الوصفين وهو (الكاهن) و (المجنون) فاعترض بجملة الذ ـ م ليؤكد نفي الصفتين عنه [٥]. وقال تعالى : ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (القلـ) فالذ ص

---

١) ينظر : تفسير النسفي ٢٣ ، تفسير البيضاوي ١١٥ ، تفسير أبي السعود ١٥٣ .

٢) ينظر : الكشاف : ٤٦٦ ، تفسير النسفي ٢٣ ، روح المعاني ١٢٧ .

٣) البيان في روائع القرآن ١١٧ .

٤) ينظر : البحر المحيط ٢١٣ ، التحرير والتنوير ٥٩ .

٥) ينظر : البيان في روائع القرآ ١١٨

الكريم وردت فيه جملا ﴿ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴾ وهي ا. - راق اعتراضي بين الا - م والخبر) . والباء متعلقة بمحذوف يدل عليه المقام وتقديره : إن ذلك بنعمة ربك) . فجاء الخطاب القرآني بجملة القسم لتأكيد نفي ما اتهموه بـــه ﷺ باطلاً بالجنون) .

. **التحذير والتهديد** : قال تعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لأعراف ١٨) فجاء النص الكريم بالاعتراض وذلك " بالنداء ليكون التهديد بالاخراج أكثر توهجاً الى شعيب وإن شاركه أتباء ه في تلقـــي التهديد ")

) ينظر : تفسير النسف ٥٦٥

) ينظر : التحرير والتنوير ٩ ٦٢

) البحر المحيط ، ٤٣٢ ، البيان في روائع القرآ ١١٨

) البيان في روائع القرآ ١١٧

والاعتراض في هذه الآية يمكن تمثله على الشكل الآتي :

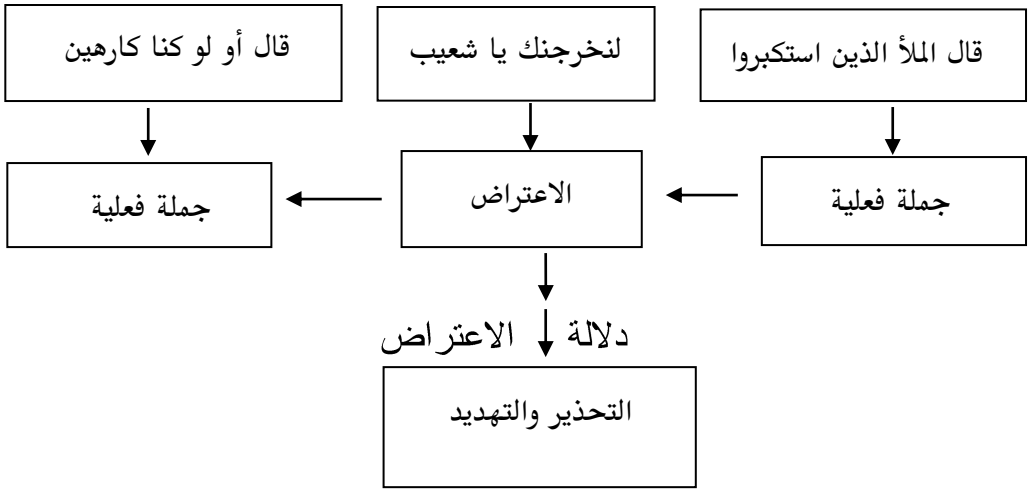

وقال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود ٨١) فالناظر الى جملة ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ ﴾ يجدها متضمنة الاعتراض بين المستثنى والمستثنى منه [1] . ودلالة هذا العدول الأسلوبي بالاعتراض هو التحذير [2] . للنبي لوط عليه السلام بأن يسري بأهله تاركاً امرأته . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

[1]) ينظر : التحرير والتنوير ٢ ١٣٢ .

[2]) ينظر : البيان في روائع القرآن ١١٧ .

﴿ يَرْجِعُونَ ﴾ (يّـسر ١) فالحدس الشخصي يدلنا على الاعتراض في قـ ـه ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا ﴾ أي : ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون . وجاءت دلالة الاعتراض لبيان كثرة الأجيال الهالكة) . ويحمل معه معنى التحذير والتهـ ـد .

ا . **بيان التحدي واظهار قوة الحجـ** : قال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقر ٤) فالناظر الى الخطاب القرآني تستوقفه عبار ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾

وهي اعتراض جاءت بين الشرط والجزاء) . لبيان التحدي في الماضي والمستقبل وبيان عجزهم في جميع العصور والأزمان . ويمكن تمثل صورة الاعتراض في هذا النص على الشكل الآتي :

) ينظر : روح المعاني ٢ ٦ ، البيان في روائع القرآن ١١٨ .

) ينظر : الكشاف ٦١ ، تفسير الرازي ١١٢ ، تفسير لنسفي ٣٠ ، البحر المحيط : ١٥٥ ، تفيير البيضاوي ٥٨ ، تفسير أبي السعود ٦٧ ، روح المعاني ٢٠٠ ، البيان في روائع القرآن ١١٦ .

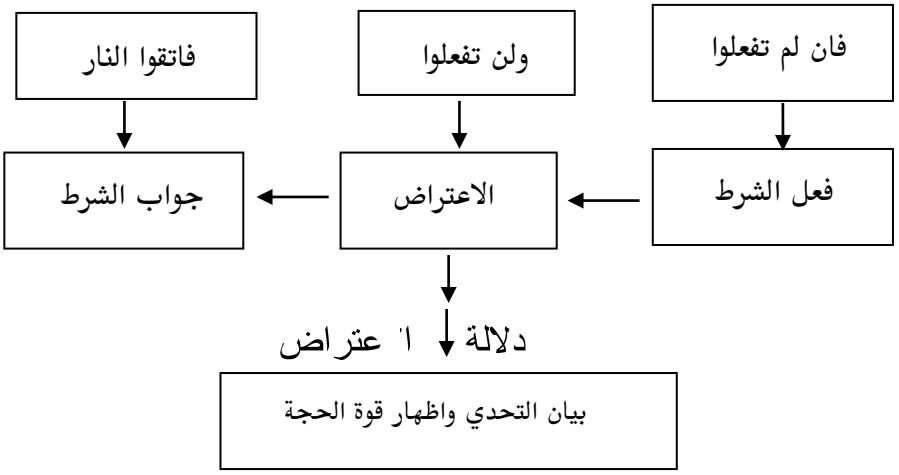

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل ٤٣ - ٤٤) فالخطاب القرآني أشتمل على الاختراق الاعتراضي في قولـ ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ ﴾ بين قولـ ﴿ نُوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ وبين قولـ ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴾) وقد قصد به إظهار قـ ـوة الحجـة

) ينظر : الكشاف ٥٧٣ ، تفسير النسفي ٦٠٦ ، البحر المحيط ٦٣١ ، روح المعاني : ٣٨٨ ، التحرير والتنوير ٤ ١٦١ .

عليهم) كأن الله تعالى يقول : " لقريش الذين قالوا : الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً : اسألوا أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث الى الأمم السالفة إلا بشراً ") .

. **التبرك :** قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾ (مريم ٣٠) وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ (مريم ٣٤) ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (مريم ٣٦) فجاء الاعتراض بين قوله ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ﴾ وقوله ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴾ . أي ذلك المذكور هو النبي عيسى ابن مريم عليه السلام لا كما تزعم النصارى واليهود) فجاء" الاعتراض بجملة تشتمل على التكاليف وقد سبقتها ولحقت بها نعم الله عليه ") وهذا الاعتراض يمكن تمثله على الشكل الآتي :

) ينظر : الموسوعة القرآنية الميسرة ، إبراهيم الابياري ٢٣ ، من أسرار البلاغة في القرآن ٣٠

) من أسرار البلاغة في القرآن ٣٠ .

) التحرير والتنوير ٦ ١٠١ .

.) البيان في روائع القرآن ١١٧ .

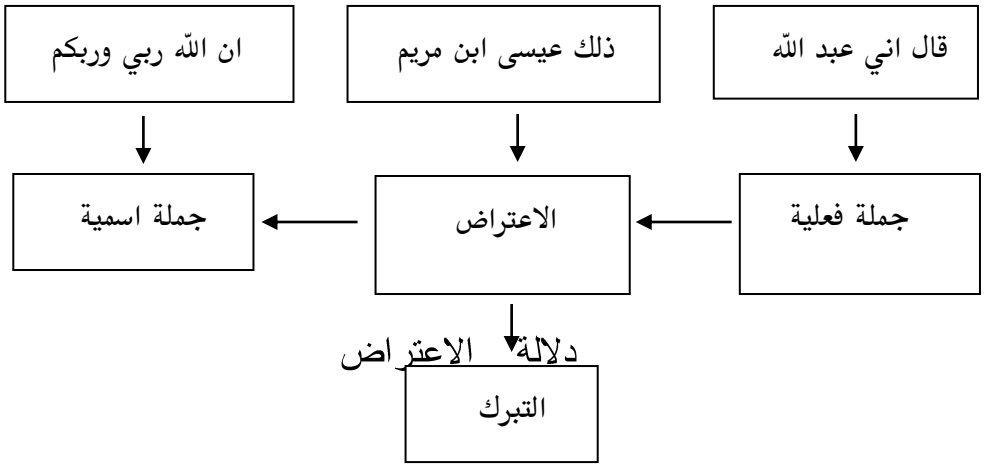

١ . **الاستعطاف** : و قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران ٣٥) فالناظر الى النص الكريم يلمس قوله ـ الى ﴿ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وهو اختراق اعتراضي بـ ن المعطوف والمعطوف عليه) . ولهذا الاعتراض دلالته وهو طمأنة قلوب المستغفرين التائبين وترفيق للنفس وداعية الى رجاء الله وسعة عفوه ومغفرته) . ويمكن لنا أن نوضح طبيعة هذا الاعتراض على النحو الآتي :

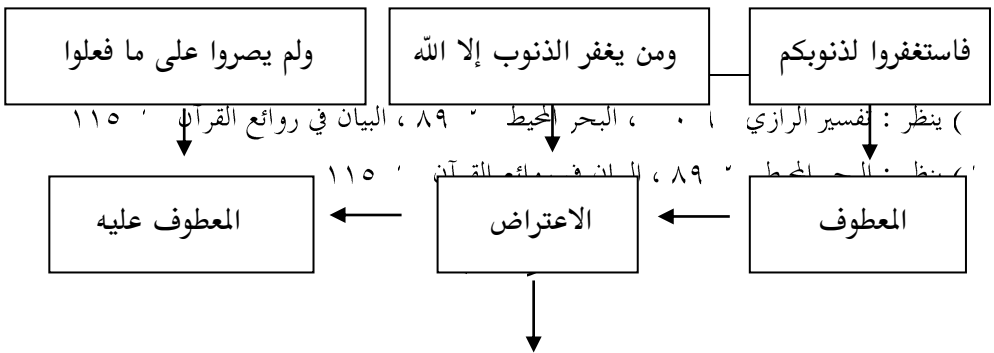

) ينظر : تفسير الرازي ١٠ ، البحر المحيط ٣ ٨٩ ، البيان في روائع القرآن ١١٥

) ينظر : البحر المحيط ٣ ٨٩ ، البيان في روائع القرآن ١١٥

دلالة الاعتراض

١ . **التقرير في نفس السامع :** وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقر ٢ / ٧٢ - ٧٣) فإذا أنعمنا النظر في قـ ـه تعالى ﴿ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ نجد الاعتراض بين قول ﴿ فَادَّارَأْتُمْ ﴾ وقوله ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾) فالاعتراض كما هو واضح وقع بين المعـ وف والمعطوف عليه) ودلالة هذا الاعتراض التقرير في نفس السامع بأن تدافع بني اسرائيل

) ينظر : الكشاف ٨٢ ، تفسير الرازي ٢ ١١٤ ، تفسـير النسـفي ١ ٦٢ ، تفسـير البيضاوي ٨٨ ، تفسير أبي السعود ١١٤ ، روح المعاني ٢٩٣ .

) ينظر : تفسير الرازي ٢ ١٢٤ ، المثل السائر ٢ ٤٣ ، تفسير النسفي ٦١ ، تفسـير البيضاوي ٨٨ ، تفسير أبي السعود ١١٤ .

في قتل تلك النفس ليس نافعاً في اخفاء عملهم وكتمانـــه ؛لأن البـــاري ﷻ سيظهره يوماً ما مهما فعلوا) .

فنرى فائدة الاعتراض إشعار المخاطبين بأن الحقيقة ستنجلي لا محالة . وأصل لكلام من غير اعتراض (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها فقلنا اضـــربوه ببعضها) فالفرق بين هذا الكلام والكلام المشتمل على الاعتراض في اختراق الجملة عدولاً عن الحقيقة . والاعتراض في هذا النص يمكن توضيحه بالشكل الآتي :

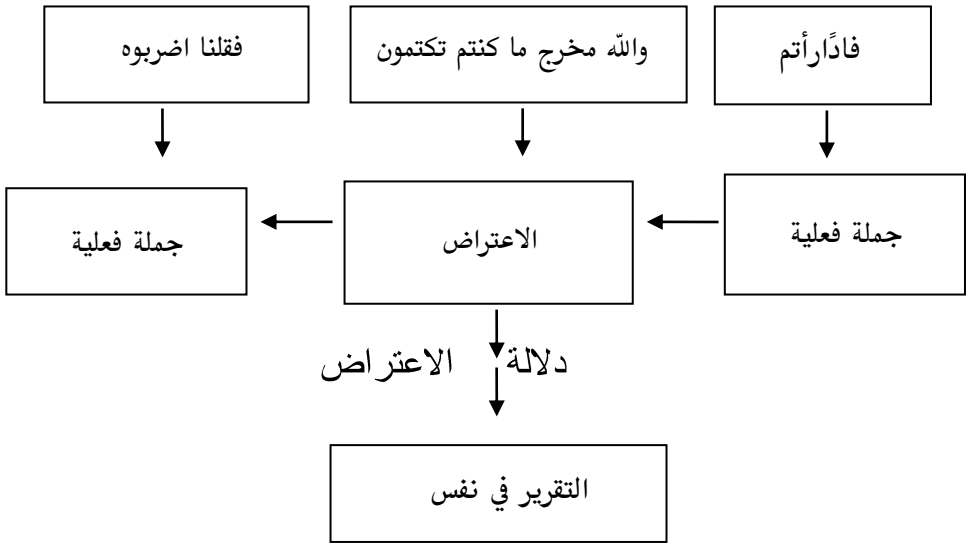

) ينظر : الكشاف : ٨٢ ، المثل السائر ٢ ٤٣ ، بلاغة التراكيب : ٢٦٥ .

وبعد ...

فلا نزعم اننا قد قدمنا آراء يقينية مقطوعاً بصحتها حول طبيعة الاعتراض فربما يكون للقاريء والمتلقي تحفظ على هذا الرأي أو ذاك ولكن حسبنا إخلاص النية في كل ما قلناه ونقوله وتبارك الله في عليائه .

المصـــادر و المراجـــع

. **القرآن الكريم .**

. **الإتقان في علوم القرآن** : للحافظ جلال الدين عبد الـــرحمن الســـيوطي (د ١٤٩ ١١) هج تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة ومطبعـــة المشهد الحسيني / القاهرة (د. د .) (د. ت) .

. **الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز** : مجيد عبد الحميد ناجي ، مطبعة الآداب ، النجف الاشرف ٣٩٦ هـ - ٩٧٦ م (د د .) .

. **الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية** : د. فتح الله أحمد ســـليمان ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ١٩٩٠ م (د. ط).

. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي** : تأليف ناصر الدين أبي الخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (د ٩١٬) هج ، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحيـــاء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت (د. ط) (د. ت) .

. **الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع (مختصر تلخيص المفتاح)** : الخطيب القزويني (د ٣٩٬) هج راجعه وصـــححه وخـــرج آياته الشيخ بهيج غزاوي ، دار إحياء العلوم ، بيروت – لبنـــان ؛ ط ٢ ، هـ ١٤١٢ - ١٩٩٢ م .

٩ . **البديع في نقد الشعر** : لأسامة بن منقذ ، تحقيق د. أحمد أحمد ـ دوي ، د. حامد عبد المجيد ، مراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، القاهرة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م (د. ط . ت) .

١٠ . **البلاغة الاصطلاحية** : د. عبدة عبد العزيز قلقيلة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ٤ ، ٤٢١ هج - ٢٠٠١ م.

١١ . **بلاغة التراكيب** : د. توفيق الفيل ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ٤١٠ هج - ٩٩٠ م (ط . ت) .

١٢ . **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد** : تأليف عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم دمشق ، الدار الشامية بيروت ، ط ١ ، ٤١٦ هج - ٩٩٦ م .

١٣ . **البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني** : د. تمام حسان ، عالم الكتب ضمن مشروع مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٢ ، (د. ط . ت) .

١٤ . **البيان والتبين** : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥) هج ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (د ط . ت) (د. ت .) .

١٥ . **التعريفات** : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦)هج ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق إبراهيم الابياري ، ط ١ ، ١٤٠٥ هج.

٤ . **تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم** : لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى سنة (٩٥١) هج ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤١١ هج - ١٩٩٠ م .

٥ . **تفسير البحر المحيط** : تأليف أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (د ٧٥٤) هج ، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه د. عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٣ هج - ٢٠٠٢ م .

٦ . **تفسير التحرير والتنوير** : تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس (د. ط (د. ت) .

٧ . **تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل** : تأليف الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان (د. ط) (د.ت) .

٨ . **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب** : للإمام خر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (د ٦٠٤ هج ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هج - ٢٠٠٤ م .

٩ . **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (د ٦٧ ٣٨) هج ، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ؛ ط ١ ، ١٤٢٣ هج - ٢٠٠٢ م .

١٠ . **خزانة الأدب وغاية الأرب** : تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي رحمه الله (د ٣٧٠) هج ، تحقيق عصام شعيتو ، دار ومكتبة الهلال بيروت ؛ ط ١ ، ٩٨٧ م .

١١ . **الخصائص** : تأليف أبي الفتح عثمان بن جني (د ٩٢٠) هج ، حققه محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت - لبنان ؛ ط ٠ ، (د. ت .) .

١٢ . **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** : تأليف العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠ هج ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ؛ ط ١ ، ١٤٢٢ هج - ٢٠٠١ م .

١٣ . **سر الفصاحة** : للأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٦ هج ، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٨٩ هج - ١٩٦٩ م ، (د. ط) .

٤ . **علم المعاني** : د. درويش الجندي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، (د. ط) (د. ت) .

٥ . **علم المعاني تأصيل وتقييم** : د. حسن طبل ، مكتبة الايمـ ـان بالمنصورة ، ط ١ ، هج - ٩٩٩ م .

٦ . **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** : أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني المتوفى ٤٦٣ هج ، حققه وعلق عليه محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة ، ١ ، ١٣٥٣ هج - ١٩٣٤ م .

٧ . **في البلاغة العربية علم المعاني** : د. حسن البنداري مكتبة الانجلو المصرية ، ٤٠٩ هج - ٩٨٩ م .

٨ . **كتاب البديع** : عبد الله بن المعتز (د ٩٦) هج ، تحقيق اغناطيوس كراتشو فسكي ، منشورات دار الحكمة حلبوني ، دمشـ ـق (د. د .) (د ت .) .

٩ . **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر** : تصنيف أبي هلا ل الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥) هج ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ، ٣٧١ هج - ٩٥٢ م (د. د .) .

١٠ . **لسان العرب** / محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (د ١١) هج ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، (د ت .) .

٢١ . **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** : لضياء الدين ابن الأثير (د ٣٧) هج ، تحقيق د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ١ ، ١٣٨١ هج ، ١٩٦٢ م .

٢٢ . **مفتاح العلوم** : أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (د ٢٦) هج ، أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ١٤٠٢ هج ، ١٩٨٢ م (د. ط) .

٢٣ . **من أسرار البلاغة في القرآن** : د. محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .

٢٤ . **الموسوعة القرآنية الميسرة** : إبراهيم الأبياري ، مؤسسة سـ ـ جل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م (د. ط) .

٢٥ . **نقد الشعر** : لأبي الفرج قدامة بن جعفر (د ٣٧٠) هج ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي بمصر ، ومكتبة المثنى ببغداد ، ١٩٦٣ م (د. د .) .

أصول بنية ضمائر الرفع
دراسة لغوية

م.م. زيدون فاضل عبد

تقديم

لقد نالت الضمائر العربية الكثير من عناية النحويين العرب القدماء ، فبينوا أصولها ، واختلاف أشكال بنيتها ، ومظاهر استعمال العرب لها ، وفسَّرُوا أوجه وأسباب هذه الاستعمالات ، بما توافر لديهم من بصيرة لغوية نافذة ، هدتهم إلى استجلاء حقيقة هذه الضمائر .

وحديثاً .. يسعى هذا البحث وراء معرفة جديدة لتطور بنية ضمائر الرفع (هو) ، و(هي) و(هم) ، و(التاء) ، و(الواو) بين اللهجات ونحو العربية الفصحى ، عن طريق تحليل بنية هذه الضمائر إلى مكوناتها ، وتتبع صيغها اللغوية من النصوص العربية القديمة ، وأعني بالقديمة نصوص عصر الاستشهاد اللغوي أو ما يصطلح عليه بـ (حقبة الجمع اللغوي) الذي حدده النحاة .

وذلك بعد أن تطور البحث اللغوي الحديث ، وأخذ يستعين بالمناهج التاريخية والوصفية والمقارنة ، ويتخلى عن المناهج الفلسفية ، فأدَّى ذلك إلى نتائج جديدة ، وضَّحت ما غَمِضَ على القدماء ، وأكملت ما فاتهم .

ولا يسعى هذا البحث إلى تقويض وهدم ما جاء به النحاة واللغويون القدامى ، ولكنَّه تكميل بما جدَّ من نتائج التفكير اللغوي الحديث ، مع الموازنة والتنسيق بين الآراء والأفكار التي جاء بها كلٌّ من القدامى والمحدثين ؛

للوصول إلى حقيقة تطور هذه الضمائر ، لذا رأيت أن يكون البحث على الوجه الآتي :

أولاً : (هو وهي) .

ثانياً : (هم) .

ثالثاً : ضمائر الرفع المتصلة :

أ. (تاء المخاطب وتاء المخاطبة)

ب. واو الجماعة .

أولاً : أصل (هو) و (هي) :

اختلف القدماء بشأن ضميري الغيبة اختلافاً كبيرًا تمثَّل في وجهتي نظر متقابلتين لمدرستي البصرة والكوفة وأنصارهما ، ومن ثَمَّ كانت ضمائر الغيبة من حيث أصلها مسألة خلافية من جملة المسائل التي اختلفت فيها المدرستان .

ذهب الكوفيون إلى أنَّ الضمير من (هُوَ) و(هِيَ) الهاء وحدها ، ودليلهم على ذلك أنَّ الواو والياء تحذفان في التثنية فتقول : (هُما) ، كما يحذفان في الجمع فتقول : (هُم) . ولو كانت الواو والياء أصلاً لما حذفتا ،

كما تحذفان أيضاً في حالة الإفراد نحو (ه ُ) في : هُوَ و(ه ِ) في : هي ، كما في قول العجير السلولي وهو من قيس [1] :

فبينا (ه ُ) يشري رَحْلَهُ قال قائلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رخوُ المِلاطِ نجيبُ

أراد : فبينا هُوَ ، فحذف الواو يدلُّ على أنَّها ليست من أصل الضمير .

ونحو قول الآخر[2] : *** دارٌ لِسعدى إذْ (ه ِ) مَنْ هَواكا ***

أراد : إذ هي ، فحذف الياء ، ويدلُّ حذف الواو والياء على أنَّ الضمير هو الهاء وحدها . وإنّما زادوا الواو والياء تكثيرًا للاسم ، كراهيـــة أن يبقـــى الاسم على حرفٍ واحد .

وذهب البصريونَ إلى أنَّ الهاء والواو من (هو) ، والهاء واليـــاء من (هي) ، هما الضمير بمجموعهما ، والدليل على ذلك أنَّ (هُوَ) و(هِـــيَ) ضميران منفصلان ، والضمير المنفصل لا يجوز أن يُبنى على حرفٍ واحد ؛ لأنَّه لا بدَّ من الابتداء بحرف ، كما أنَّه لا بدَّ من الوقوف على حرف . ولـــو كان الاسم هو الهاء بمفردها لكان يؤدي ذلك إلى أنَّ الحرف الواحـــد يكـــون ساكناً ومتحركاً ، أي : متحركاً بحركة الابتداء ، وموقوفاً عليه بحركة الوقف

(١) ينظر البيت في الخصائص : ٦٩/١ ، والإنصاف [م٩٦] ٦٧٨/٢ ، وشعره : ٢٢٩ ، وفيه : القافية : طويل .

(٢) اللسان (هيا) : ١٥/ ٣٧٦ .

وهو السكون ، وهذا محال ؛ لذلك وجب أن لا تكون الهاء وحدها هي الاسم [١] .

وما ذكرناه عبارة عن مجمل ارآء البصريين والكوفيين في هذين الضميرين .

ويمكن إجمال لغات العرب في بناء هذين الضميرين بالآتي :

أ. إسكان الهاء منهما :

المشهور في هذينِ الضميرين البناء على الفتح ؛ لأنَّ هذين الضميرين يتكون كلٌّ منهما من حرفين ، ودعموهما بأخفِّ الحركات وهي الفتحة لتقويتهما فقالوا : (هُوَ) و(هِيَ) [٢] قال ابن يعيش (يقال للمؤنثة (هي) بفتح الياء كأنهم قووها بالحركة اذ كان الضمير المنفصل عندهم يجري مجرى الظاهر واقل ما يكون عليه الظاهر ثلاثة أحرف ، ولما كان هو وهي على حرفين قويا بالحركة وكانت الفتحة أولى لخفتها) [٣] .

(١) ينظر تفصيل المسألة : الإنصاف [م/٩٦] ، ٦٧٨/٢ ، وعلل النحو لابن الوراق : ٢٧٠ ، وشرح المفصل لابن يعيش : ٣٦/٣ .

(٢) ينظر شرح المفصل لابن يعيش : ٣٦/٣ .

(٣) شرح المفصل لابن يعيش : ٣ / ٩٧.عالم الكتب – بيروت

وقيل : بُنيا على الفتح ؛ ليفرق بين الواو والياء اللتين هما من أصل الضمير، وبينهما عندما يكونان صلة نحو: ((رأيتهمو ، ومررتُ بِهي))[1] ، وهذه لغة الحجاز [2] .

* وعزي إلى أهل نجد [3] أنَّهم كانوا يسكنون الهاء في بنيتهما إذا وقعت بعد ((الفاء الواو واللام وثُمَّ)) فيقولون (وَهْوَ) و(وَهْيَ) و(فَهْوَ) و(فَهْيَ)، وعلى لغتهم حُملت قراءة قالون ، وأبي عمرو ، والكسائي ، ونافع ، وأبي جعفر[4] : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة٢/٢٩] ، وقوله : ﴿ وَهْيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ [هود١١/٤٢] ، وقوله : ﴿ فَهْيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ [الحج٢٢/٤٥] ، وقراءة الكسائي[5] : ﴿ ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص١٨/٦١] ، و﴿ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ [العنكبوت٢٩/٦٤] .

وممَّا جاء على هذه اللغة قول رؤبة بن العجاج وهو من تميم [6] :

---

(١) الصحاح (ها) : ٦/٢٥٥٧ – ٢٥٥٨ .

(٢) الكتاب : ٤/١٩٥ .

(٣) ارتشاف الضرب : ١/٤٧٣ ، إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢ .

(٤) حجة القراءات : ٩٣ ، إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢

(٥) حجة القراءات : ٥٤٨ ، والبيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري : ١/٦٩ .

(٦) ديوانه : ٦١ ، وينظر أمثلة أخرى في : ٩٥ ، ٩٨ ، ١٨٥ .

وَهْوَ دَهِيٌّ العلمِ والتعبرِّ حَتَّى اسْتَقامتْ بي عَلى التَيسّرِ

وتفسير ذلك من وجهة نظر القدامى ، أنَّ مَنْ حرّك الهاء جاء بها على الأصل ، ومن سكَّنها فقد جعل الأحرف أي : (الفاء ، والواو ، واللام ، وثُمَّ) من أصل الكلمة فصارت بمنزلة (عَضُد) في جواز إسكان الضاد وضمها ، فيقال (عَضْد) [١] .

في حين رأى المحدثون أنَّ الذين يسكنون الهاء مع هذه الحرف إنَّما يفعلون ذلك فراراً من تتابع المقاطع القصيرة التي هي بسبب وقعها السريع نتيجة قُصْر الفترة الزمنية التي يستغرقها نطقها تمثل عنصر قلق وتوتر وإجهاد ، لذا وبحسب قانون (النبر) فالضميران (هُوَ) و (هِيَ) بدون أن يسبقهما شيء من هذه الأحرف يكون النبر فيهما على الهاء ، ولكن عندما تدخل عليهما هذه الأحرف التي تمتزج بها نطقياً ، بحيث يصبح كلّ من الضميرين مع هذه الأحرف كأنَّه كلمة مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة (وَهُوَ ، وهِيَ ، فهُوَ ، فهِي) ، وأية كلمة عربية مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة ، فإنَّ النبر يكون على المقطع الأول منها ، ينتقل النبر من الهاء إلى هذه الأحرف ؛ لأنَّ الهاء أصبحت حشواً وبانتقال النبر عنها تسقط حركتها [٢] ؛ لأنَّ وجود النبر أحياناً قد يؤثر ((في سقوط الحركات من المقاطع التالية للنبر)) [٣] .

(١) البيان في غريب إعراب القران : ١/ ٦٩ .

(٢) ينظر ضمائر الغيبة أصولها وتطورها (بحث) : ٣١ – ٣٢ .

(٣) التطور اللغوي (د.رمضان) : ٩٠ ، وشاهد القراءات القرآنية عند السيوطي(بحث) : ١٦٩ .

وتأسيساً على ذلك مالت اللهجات النجدية إلى منع هذه التوالي في المقاطع المفتوحة الثلاثة ، فحولت المقطعين الأولين من مقطعين قصيرين مفتوحين ، إلى مقطع طويل مغلق واحد .

في حين نجد أنَّ اللهجات الحجازية تستسيغ اجتماع ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة ، أو مقطعين قصيرين مفتوحين ، ومقطع طويل مغلق على التوالي ، بل لعلها كانت تجنح إلى ذلك جنوحاً فلا عجب أن نجدها قدِ احتفظت بالصوائت القصيرة في نحو : (عُنُق ، وكَبِد ، و قِمَع) [1] .

ولكنَّني من جهة أخرى لا استبعد هذا الإسكان بناءً على ما عُرِف عن العرب أنَّهم كانوا يجيزون التحريك والإسكان في حروف الحلق الستة ، والهاء إحداهنَّ ، ففضلاً عن تباين مخارج الواو ، والفاء ، واللام ، والتاء ، ومخرج الهاء ، فالمتكلم بإمكانه أن يدرك مشقة الآخر حينما يجمع بين حروف متباعدة المخارج ، وحركات متوالية من الفتح إلى الضمّ الى الفتح (لَهُوَ) لا شكَّ أنَّ في الأمر صعوبة ؛ ((لذلك أرادوا أنْ يخففوا من غلوائه ، فقاموا بتسكين الهاء الحرف العميق ذي الحركة البعيدة عن مخرجه الواقع وسطاً ، وفي هذا مدعاة لإراحة اللسان قليلاً ، استعداداً لاستئناف عمله ثانية في الحروف اللاحقة للهاء)) [2] . أمَّا ما يتعلق بظهور هذه اللغة في

(١) ينظر دراسة في أصوات المدِّ العربية : ١٧٧ .

(٢) ينظر قراءة الكسائي (ط .دكتوراه) : ١٠٦ .

تميم ، فـلأنَّ منـازلهم كانـت فـي نجـد [١] ، ويقـوي ذلـك أمـران :

الأول : تكرار هذه اللغة في شعر رؤبة .

والآخر : أنَّ تسكين وسط الكلمة للتخفيف من الخصـائص اللهجيـة لهـم ، فيقولون في : (عَضُد : عَضْد) وفي : (كَـرُمَ : كَـرْمَ) وفـي : (عَلِـمَ : عَلْـمَ) بسكون الوسط ، سواء كانت الكلمة اسماً أو فعلاً [٢].

والحق أنَّ الهاء لا تُسكَّن بعد هذه الحروف فحسب ، بل تشير الروايـات إلى أنَّ الهاء تُسكَّن أيضاً بعد همزة الاستفهام ، وكاف الجرِّ للتخفيف . ومنه قول المرار العدوي وهو من تميم [٣] :

فقُمتُ للطَّيفِ مُرْتاعاً وارَّقَني فقلت : أهْيَ سَرَتْ أم عادَني حُلُمُ ؟

أما بعد كاف الجر فمنه قوله [٤] :

وَقد عَلِمُوا ما هي كَهْيَ فكيف لي سَلُوا ولا انفك صبَّا متيما

وقد أشار ابن مالك في كتابة (شرح التسهيل) [٥] إلى أنَّ ذلك مخصوص بالشعر ، ولكنَّه في كتابة (تسهيل الفوائد) [٦] أجاز ذلك ، ولم

---

(١) معجم ما استعجم : ٩٠/١ ، ونهاية الأرب : ١٨٨ .

(٢) ينظر الكتاب : ١١٣/٤ ، ولهجة تميم : ١٤٨ .

(٣) اللسان (هيا) : ٣٧٩/١٥ ، همع الهوامع : ٦١/١ ، الخزانة : ٣٩١/٢ .

(٤) همع الهوامع : ٦١/١ .

(٥) ١/ ١٣٨ .

(٦) ص : ٢٦ .

يخصّهُ بالشعر ، وأغلب الظنّ أنَّ هــذا التسكين من لغة تميم في ضوء مــا تقدم ، ويرجِّح ذلك ورودها في شعر المرار العدوي وهو من تميم ، وبِنــاءً على هذا فلعلهم فعلوا مثل ذلك مع الهاء من (هو) و(هي) ، فسكنوها بعد همزة الاستفهام وكاف الجرِّ تخفيفاً .

ب . تشديد الواو والياء منهما .

– وعُزي إلى قبيلة همدان وهي إحدى قبائل اليمن أنَّهم كانوا يشددون الــواو والياء فيهما فيقولون : (هُوَّ) و(هِيَّ) [١] . وعدَّها ابن جني لغة مــن دون أن ينسبها [٢] ، وعليها حُمِلتْ قراءة الأخفش عن ابن عامر اليحصــبي [٣] ؛ ويحصب قبيلة يمنية [٤] : ﴿ هُوَّ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ﴾ [البقرة٢/٢٩] بتشديد الواو ، قال ابن مالك [٥] : ((ومثال التشديد على لغــة همدان قول الشاعر : [ويعزى إلى رجل من همدان]

وإنَّ لِسَانِي شُهْدةٌ يُشْتفَى بِها وَهـَّوَ على مَـنْ صَبَّهُ اللهُ عَلْقَمُ

(١) ينظر تسهيل الفوائد : ٢٦ ، وشرح التسهيل : ١٣٨/١ ، واللسان (هيا) ٣٧٦/١٥ ، والبحر المحيط : ١٣٣/١ ، وارتشاف الضرب : ٤٧٣/١ ، ٢٧٤/٣ ، المساعد : ١٠١/١ ، همــع الهوامع : ٦١/١ .

(٢) التمام في تفسير أشعار هذيل : ٣١ .

(٣) مختصر في شواذ القراءات : ٤ .

(٤) معجم البلدان : ٢٢٤/٣ .

(٥) شرح التسهيل : ١/ ١٥٩ .

وقال آخر في تشديد ياء (هِيَّ) [١] :

والنَّفسُ إنْ دُعيتْ بالعُنفِ آبيةٌ وهِيَّ ما أُمِرَتْ باللّطفِ تأتمرُ

وقال آخر [٢] :

ألا هِيَّ ألا هِيَّ فدعها فإنَّما تمنِّيك مالا تستطيع غّرورُ

– ونُسِب إلى قبيلة غني من قيس عيلان أنَّهم كانوا يقولون فيهما (هَــوَّ) و(هَيَّ) بفتح الهاء وتشديد الواو [٣] .

أما تفسير هذا الاستعمال اللغوي من وجهة نظر القــدامى ، فقــد رأى الكسائي – بناءً على أسس معيارية بحتة – أنَّ صيغة التشديد هي الصــورة الأصلية ، وأنَّ الصيغة غير المشددة أي (هُوَ) و(هِيَ) متفرعــة عنهــا ، باختزال المشدد تخفيفاً ، فهذا ما يمكن ملاحظته من كلام الكســائي ، قــال : ((.. (هُــوَ) : أصله أن يكون على ثلاثة أحرف مثل (أنتَ) فيقال : (هُوَّ فعل ذلك) ، قال : ومن العرب من يخففه ، فيقول : (هُوَ فعل ذلك)..)) [٤] وقال أيضاً : ((.. (هِيَ) : أصلها أن تكون على ثلاثة أحرف مثل (أنتِ)، فيقال : (هِيَّ فعلت ذلك) ، وقال : هِــيَّ لغة همدان ومن في تلك الناحية ..

(١) المصدر نفسه : ١/ ١٥٩ .

(٢) اللسان (ها) : ٤٧٨/١٥ .

(٣) ينظر دراسة اللهجات العربية القديمة : ١٧ .

(٤) اللسان (ها) : ٤٧٦/١٥ .

وغيرهم من العرب من يخففها وهو المجتمع عليه ، فيقول : (هِـيَ فعلـت ذلك) ..)) [١] .

والذي لا شكَّ فيه أنَّ الكسائي بنى حكمه هذا تأسيساً على القاعدة القائلة : إنَّ أقلّ ما يكون عليه الاسم ثلاثة أحرف [٢] ، شأنهما في ذلك شأن ضـمائر الرفع المنفصلة الأخرى كضمائر الخطاب ، وضمير المفرد المتكلم ؛ لتكـون دلالتهما على الاسم الظاهر أكثر وضوحاً ؛ لأنَّ قولك مثلا : (هُوَ في الدار ، وهِـيَ في الدار) فالضميران هنا نابا مناب الاسم الظاهر ، كأنَّك تريـد أن تقول : (زيدٌ في الدار،وهندٌ في الدار) ، ولكنَّك كنَّيت عنهما بالضـميرين ، ولـمَّا كانت الأسماء الظاهرة في الأقل تتكون من ثلاثة أحرف ، كان تشديد الواو والياء فيهما أكثر دلالة وبياناً عنها من لغة التخفيف التي تتكـون مـن حرفِين [٣] .

وبناءً على هذا ، فما كان من الأسماء على حرفين فهو في عرف النحـاة ناقص ، قد ذهب منه حرف ((فإن عُرِف تثنيته وجمعه وتصغيره وتصريفه عُرِف الناقص منه ، وإن لم يصرَّف ، ولم يصغر ، ولم يعرف له اشتقاق زيد فيه مثل آخره ، فقيل : هُـوَّ أخوك ، فزادوا مع الواو واواً)) [٤] . وما أريد

(١) اللسان (ها) : ٤٧٦/١٥ .

(٢) ضمائر الغيبة أصولها وتطورها (بحث) : ٢٩ .

(٣) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة (ط دكتوراه) : ١٠١ – ١٠٢ .

(٤) تهذيب اللغة : ٤٩٥/٦ .

أن أخرج به أنَّ هذه الأحكام المعيارية لا تصدق على الواقع اللغوي دائماً ، فالأسماء منها الأحادي مثل (ذو) و(فو) ، ومنها الثنائي كـ (أب) و (أخ) و(حم) و(يد) و(دم) [١] ، وعليه فليس التشديد هو الأصل في ضمير الغيبة ، وإنَّما هو تطور لحق به ، وهذا التطور كما يرى المحدثون حصل عن طريق مدّ أشباه الحركات في بنية الضميرين [٢] .

أما تعليل القدامى لِلغة التشديد بأنَّها رجوع الى الأصل ، أو كراهة وقوع الواو والياء طرفاً وقبلها ضمة وكسرة على الترتيب . وتفسير القدامى هذه يمثل في الحقيقة نزعة عربية قديمة إلى إغلاق المقاطع المفتوحة قصيرة كانت أم طويلة . وهذه النزعة الموصولة الأسباب منذ القدم لا تزال حيَّة في لهجاتنا الدارجة ، وآثارها شائعة في لهجات الخليج العربي وفي العراق [٣] . وقد ذكر الأستاذ أحمد شرف الدين أنَّ ((أهل اليمن يقولون في المذكر (هوَّه) والمؤنثة (هِيَّه) كأنَّهم الحقوا الهاء في الوقف ، وربما كان تشديد الواو والياء من (هو) و(هي) فيه نوع من التأكيد للدلالة على الاسم الظاهر ، ويكسب الضميرين قوة المبالغة في التعبير عنه)) [٤] .

---

(١) ينظر ضمائر الغيبة : ٣٠ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٣٠ .

(٣) ينظر المصدر نفسه : ٣٠ .

(٤) لهجات اليمن قديماً وحديثًا : ٦٢ .

وعلى الرغم من ثبوت هذه اللغة ونسبتها إلى همدان وأهل اليمن ، فقد عدَّها كلٌّ من ابن يعيش [١] ، والسيوطي [٢] ، والآلوسي [٣] ضرورة . والقول بالضرورة فيه نظر ؛ إذ كيف يمكن أن يُحكم على هذا الاستعمال اللغوي بالضرورة الشعرية وقد ورد استعمالها في النثر ، وقرأ القراء به في القرآن الكريم حيث لا ضرورة فيه ؛ إعظاماً وإجلالاً لبلاغته . ثم كيف يكون ضرورة وقد نصَّت الثقات على كونه لغة معروفة النسب ؟

ومتى ما نقل ((الأئمة وثقات اللغة بأنَّه لغة قوم ؛ وهم همدان ، فكيف يكون ضرورة عندهم ؟ وشتَّان ما بين الضرورة واللغة)) [٤] . ومما يقطع الشكّ باليقين هو شيوع هذه النطق لضميري الغيبة في اللهجات الدارجة في جهات كثيرة من الوطن العربي كالأردن وسوريا ولبنان وفلسطين والسودان والعراق والمغرب ..

ومن المسَّلم به أنَّ اللهجات الدارجة لم تأتِ من فراغ ، وإنَّما هي امتداد للهجات العربية القديمة تضرب جذورها إلى أعماق بعيدة في تاريخ العربية [٥] .

---

(١) شرح المفصل : ٣/ ٣٦ .

(٢) همع الهوامع : ١/ ٦١ ، و ٢/ ١٧١ .

(٣) الضرائر : ١٧٩ .

(٤) اللهجات العربية في التراث : ٢/ ٦٦١ .

(٥) ينظر ضمائر الغيبة أصولها ونطورها : ٣١ .

لذا فالراجح لدينا ما ذهب إليه الدكتور نهاد الموسى من أنَّ ما عرفته العربية الفصحى من صورة هذين الضميرين ما هو إلا تطور من لغة همدان التي كانت تشدد الواو والياء من (هو) و(هي) ، يقول : ((فإنَّ (هُوَ) و (هِيَ) من ضمائر الغائب المنفصلة ، قد غلب فيهما البناء على الفتح ، ويبدو أنَّ بناءهما على هذه الحركة الغالبة كان تطوراً عن صورة أخرى فيهما احتفظت بها همدان ، إذ كانت تشدد الواو والياء منهما فتقول : (هُوَّ) و (هِيَّ) على نحو ما نجده في بعض اللهجات المحكية المعاصرة)) [1] ومنها العراقية .

جـ . اسكان الواو والياء منهما :

نسب الى بعض العرب أنَّهم يخففون الواو والياء في بنيتهما في الوصل فيقولون : (هُوْ زيدٌ ، وهِيْ هندٌ) بسكون والواو والياء ، وعزيت هذه اللغة إلى أسد وتميم وقيس . قال اللحياني : ((وحكى الكسائي عن بني أسد وتميم وقيس (هُوْ فعل ذلك) ، بإسكان الواو)) [2] ومنهم من عدَّها لغة من دون أن ينسبها [3] ، وعزاها ابن مالك الى قيس ، قال : ((ومثال تسكين

(١) ظاهرة الإعراب في اللهجات العربية القديمة (بحث) : ٦٥ .

(٢) اللسان (ها) : ٤٧٦/١٥ ، وينظر تسهيل الفوائد : ٢٦ ، وشرح التسهيل : ١٣٩/١ ، البحر المحيط : ١/ ١٣٣ ، ارتشاف الضرب : ١/ ٤٧٣ ، المساعد : ١٠١/١ .

(٣) ينظر دقائق التصريف : ٥٣٩ .

الواو والياء على لغة قيس قول الشاعر : [ويعزى الى عبيد ابـــن الأبـــرص الأسدي] [١] .

وَركْضُكَ لَولا هـُوْ لَقيتَ الذي لَقُوا فأصْبَحْتَ قَد جاوزْتَ قَوماً أعادِيا

وقال الآخر :

إنَّ سَلمى هِـي التي لَو تراءتْ حَبَّذا هـِيْ من خِلَّةٍ لو تُخَالى [٢]

ومنه قول الحطيئة وهو من قيس [٣] :

سعيدٌ ومَا يفعل سعيدُ فإنَّه نَجيبٌ كَمَنْ هـُوْ في الفلاةِ نجيبُ

وقال الآخر [٤] :

أدعوتَـــهُ باللهِ ثُمَّ قَتَلْتَـــهُ لَـــو هـُـــوْ دَعـــاكَ بِذمةٍ لَم يغدرِ

وقال الآخر [٥] :

وكُنَّا إذا ما كانَ يومُ كَريهـةٍ فَقد عِلْمُوا أنَّي وَهـُوْ فَتَيانِ

وقد اكتفى القدامى في تفسير لغة الإسكان في ضمير الغائب بأنَّه لغة من دون أن يوضحوا لنا ملابسات اختزال حركة هذين الضميرين من الفتح إلـــى

(١) اللسان (ها) : ٤٧٦/١٥ ، همع الهوامع : ١/ ٦١ ، ولم أجده في ديوانه .

(٢) شرح التسهيل : ١٤٠/١ .

(٣) البيت في ديوانه برواية ابن السكيت : ٢٠٦ .

(٤) المساعد : ١/ ١٠١ .

(٥) دقائق التصريف : ٥٣٩ .

السكون . أمّا المحدثون فلهم في تفسير لغة الإسكان وجه : ذلك أنَّ اختزال حركة هذين الضميرين من الفتح إلى السكون تمثل مرحلة متطورة في الاستعمال ، أملته في الحقيقة ظاهرة الوقف [١] . إذ المعروف أنَّ القاعدة في العربية تنصُّ على أنَّه لا يبتدئ بساكن ولا يوقف على متحرك . قال أبو علي الفارسي : ((الحروف التي يوقف عليها لا تكون إلا ساكنة كما أنَّ الحروف المبتدأ بها لا تكون إلا متحركة)) [٢] ، والوقف بالسكون هو القياس ، وهو الأصل ، والأغلب ، والأكثر على حدِّ قول ابن يعيش[٣] ، ومن ثمَّ كان لغة أكثر العرب ؛ لأنَّ الوقف موضع تخفيف ، والوقف بالسكون أبلغ في تحصيل غرض الاستراحة .

وتأسيساً على ما سبق يرى المحدثون ، ودراستنا اللغوية الحديثة أنَّ العربية لا تسمح بالوقوف على المقاطع القصيرة (ص ح) أي : صامت + حركة قصيرة ، وفي حالة الوقوف على مثل هذه المقاطع تعمد العربية إلى إقفالها ، وإقفالها يتم بإحدى طريقتين :

(١) ينظر ظاهرة الإعراب في اللهجات العربية القديمة : ٦٥ .

(٢) التكملة : ١٨٧ ، شرح المفصل : ١٨٧/٩ .

(٣) شرح المفصل : ٩/ ١٨٨ .

١. إمَّا بإسقاط حركة المقطع وهو الأكثر .

٢. وإمَّا بإضافة هاء السكت [١] .

وعليه فالوقوف على الضميرين (هُوَ) و(هِيَ) حسب الطريقة الأولى تسقط حركة الواو والياء فيصبح الضميران (هُوْ) و(هِيْ) أي : أصبح كلّ منهما مكوناً من مقطع طويل مقفل /هـ ـُ و/ و /هـ ـِ ي/ بعد أن كان مكوناً من مقطعين قصيرين :/هـ ـُ /و ـَ/ و/هـ ـِ/ي ـَ/، ولكن اسقاط الحركة ينشأ عنه محظور لغوي وهو تشكل مزدوج هابط في كلّ منهما مرفوض عربياً البتة[٢] هو: / ـُ و/ و / ـِ ي/ إذ الواو في العربية لا تثبت ساكنة بعد الضمة ولا كسرة ، وكذلك الياء الساكنة . وقد نصَّ القدماء على ذلك أيضًا قال سيبويه : ((لا تثبت واو ساكنة وقبلها ضمة)) [٣] ، وقال ابن جني : ((وليس في كلامهم واو ساكنة صحَّت بعد كسرة)) [٤] ، وهذا ينطبق على الياء الساكنة أيضا .

(١) ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٧٩ ، وما بعدها ، وضمائر الغيبة (بحث) : ٢٣ .

(٢) للوقوف على المزدوجات بنوعيها المقبول والمرفوض وطريقة تطورها ينظر القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث : ٤٣ وما بعدها .

(٣) الكتاب : ٤/ ١٩٥ .

(٤) الخصائص : ٢/ ٣٥٠ .

وللتخلص من هذا السياق الصوتي المرفوض تخالف العربية بين عنصري المزدوج الهابط عن طريق حذف الصامت الذي هو الواو في /هـ ـُـ و/ ، والياء في /هـ ـِـ ي/ ثم تعوض عن المحذوف بمدٍّ الحركة وبذلك يصبح الضميران (هو) و(هي) ، أي : تحول كل منهما من مقطع طويل مقفل / ص+ ح + ص / الى مقطع طويل مفتوح / صامت + حركة + حركة / [١] .

ولما كانت الضمة الطويلة ترسم واوا ، والكسرة الطويلة ترسم ياء ، فقد ظنَّ القدماء أنَّ كلَّ ما حدث هو إسقاط الحركة وأنَّ الواو والياء بقيتا ساكنتين ، ((والحقيقة التي لا مراء فيها أنَّه ليس ها هنا واو ولا ياء وإنَّما حركات طويلة)) [٢] .

ومن هنا نخلص إلى أنَّ بعض القبائل العربية آثرت هاتين الصيغتين لضميري الغيبة اللتين أحدثتهما ظاهرة الوقف فاستعملتهما في الوصل أيضاً ، ومن الجدير بالملاحظة ((أنَّ هاتين الصيغتين هما نفس صيغ ضميري الغيبة في العبرية والآرامية والسريانية))[٣] .

(١) ينظر ضمائر الغيبة (بحث) : ٢٣ – ٢٤ .

(٢) ينظر المصدر نفسه : ٢٤ .

(٣) ينظر المصدر نفسه : ٢٤ .

د. حذف الواو والياء منهما :

وقد تحذف الواو والياء من بنية الضميرين (هو) و(هي) ويكتفى بالضمة قبل الواو ، والكسرة قبل الياء ، وهو ما عبَّر عنه المحدثون بانكماش العنصر الحركي فيهما ، وصيرورته حركة قصيرة ، وتحول الضميرين بذلك من مقطع طويل مفتوح (ص + ح + ح) الى مقطع قصير (ص+ح) [١] ، فيقال : ((ما [ه ُ] فعل ذلك ، وما [ه ُ] قاله ، وحتى [ه ُ] فعل ذلك وإنما [ه ُ] فعل ذلك)) بضم الهاء بدون واو . و((حتَّى [ه ِ] فعلت ذلك ، وما [ه ِ] قالته)) بكسر الهاء من دون ياء [٢] . وعزيت هذه اللغة إلى بني أسد [٣] .

ومما جاء على هذه اللغة قول العجير السلولي وهو من قيس[٤] :

فبيناه ُيَشرِي رَحْلَهُ قالَ قائلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رَخْوُ الِملاطِ نَجيب ُ ؟

أراد : فبينا هُوَ ، وقول الآخر[٥] :

بيناهُ في دارِ صِدْقٍ قدْ أقامَ بِها حينًا يُعَلِّلُنا وَمَا نُعلِّلُهُ

أراد : بينا هُوَ ، وقول الآخر[٦] :

---

(١) ينظر ضمائر الغيبة أصولها وتطورها : ٢٤ .

(٢) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة : ١٠٣ .

(٣) المحكم (هي) : ٢٤٤/٤ ، اللسان(ها) : ٤٧٦/١٥ ، لهجة قبيلة أسد : ١١٦ .

(٤) الخصائص : ٦٩/١ ، والإنصاف [م٩٦]٦٧٨/٢ ، وشعره : ٢٢٩ ، وفيه القافية : طويل .

(٥) دقائق التصريف : ٥٣٩ ، اللسان (ها) : ١٥/ ٤٧٦ .

(٦) الإنصاف [م٩٦]٦٧٨/٢ .

إذا هُ سِيمَ الخَسْفِ آلى بِقَسَمْ بِاللهِ لا يأخُذُ إلا ما احْتَكَمْ

أراد : إذا هــو ، وقول الآخر[1] :

وأعطيهِ ما يرجُو وأوليهِ سُؤلَهُ وألحِقهُ بالقومِ حَتَّاهُ لاحِقُ

أراد : حتى هو .

إلا أنَّ ألكسائي[2] ذكر أنَّهم لا يفعلون مثل ذلك إلّا إذا وقعت الواو والياء بعد الألف ، وأنشد لهذه اللغة قول أبي خالد الأسدي :

*** إذا هُ لَم يُؤذَن لَهُ لَمْ يَنْبس ***

بيد أنَّ اللحياني ذكر عنه حذف الهاء من (هي) بعد غير الألف قال : ((قال الكسائي لم أسمعهم يلقون الياء عند غير الألف ، إلّا أنَّه أنشدني هــو ونعيم :

هَلْ تَعرف الدارَ على تبراكا ديارٌ لِسعدى إذ هِ مَنْ هواكا

بحذف الياء عند غير الألف)) [3] .

وقد كان القدامى يعون طريقة التطور باختزال حركة الضمير في هــذه الأمثلة الواردة عن العرب جيدا . والظاهر من رأيهم أنَّ حذف الواو والياء من (هُوَ) و(هِيَ) جاء على لغة من اسكنهما ؛ ((لأنَّ الحذف إنَّما يكــون

(١) ضرائر الشعر لابن عصفور : ١٢٦ .

(٢) ينظر اللسان (ها) : ٤٧٦/١٥ والإنصاف [م٩٦] ٦٧٨/٢ .

(٣) ينظر اللسان (ها) : ٤٧٦/١٥ ، والانتصاف من الإنصاف : ٦٨٠/٢ .

في الحرف الساكن لضعفه ، أمّا المتحرك فقد قوي بالحركة)) [١] ، قال ابن جني ((إنَّ الذي قال (**اذ [ه ِ]** من هواكا) هو الذي يقول في الوصل : (هيْ قامتْ) ، فيسكن الياء ، وهي لغة معروفة .. وإنَّما كان قوله (**اذه ِ**) على لغة من اسكن الياء لا على لغة من حركها ، من قبل إنَّ الحذف ضرب من الإعلال ، والإعلال إلى السواكن لضعفها أسبق منه إلى المتحركات لقوتها))[٢] . وقد أخذ النحاة بما أثبته ابن جني وقرره .

هذا وقد عدَّ بعض القدماء اختزال الحركة الطويلة من بنية الضميرين ليس لغة ، وإنَّما هو ضرورة شعرية ، وصفت بأنَّها من أقبح الضرورات ، ومن ثم كانت أقبح من حذف الصلة من الضمائر المتصلة . وهذا ما يفهم من تفسير ابن عصفور الذي رأى أنَّ حذف الواو والياء من أقبح الضرورات ، بحجة أنَّه اجتمعت فيه ضرورتان ؛ الأولى : تسكين الواو والياء ؛ لأنَّه لم يتوصل إلى حذفهما إلا بعد تسكينهما ؛ وهو ضرورة ، والأخرى : إجراء المنفصل مجرى المتصل ؛ لأنَّ حذفهما يؤدي إلى بقاء الضمير المنفصل على حرف واحد ، وذلك قبيح ؛ لأنَّه عرضة للابتداء ، فلا أقلّ من أن يكون على حرفين ، حرف يبتدأ به ، وحرف يوقف عليه [٣] .

---

(١) الخصائص : ٨٩/١ .

(٢) الخصائص : ١/ ٨٩ .

(٣) ينظر شرح جمل الزجاجي : ٥٨٧/٢ .

وذكر الدكتور فوزي الشايب أنَّ النحاة – وتحديدًا البصريين – إنَّما رفضوا الاعتراف بهذه اللهجة التي تنسب إلى بني أسد وعدُّوها ضرورة ، وزادوا على ذلك فوصفوها بأنَّها قبيحة ؛ لأنَّهم كانوا لا يثقون بكلِّ ما يأتي عن هؤلاء الناس من ظواهر لهجية [١] ، ويؤيد رأي الشايب ما قاله أبو حاتم من أنَّ ((لبني أسد في اللغة مناكير لا يُؤخذُ بها)) [٢] .

والحقّ أنَّ حمل ما جاء من ذلك في رأي البصريين على الضرورة الشعرية مع كثرته قول فيه نظر ؛ لأنَّ ما احتجوا به في تفسير هذا الحذف ينطلق من اعتبارات عقلية ومنطقية لا صلة لها بالدرس اللغوي ؛ لأنَّ العرب ((نطقت على سجيتها وطباعها وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله))[٣] ، ويعزز ذلك ما قاله الجاحظ : ((وكلُّ شيء فإنَّما هو بديهة وارتجال ، وكأنَّه الهام ، وليس هناك معاناة ، لا مكابدة ، ولا إجالة فكر ، ولا استعانة ... فما هو إلا أنْ يصرف همه إلى جملة المذهب ، والى العمود الذي إليه يقصد ، فتأتيه المعاني إرسالًا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالًا)) [٤] .

لذا فإنَّ تكلف هذه العلل وتحكيمها بالدرس اللغوي هو خروج عما إرادته العرب في كلامها ، وبناءً على هذا كان الكوفيون أكثر توفيقًا في نظرتهم إلى

(١) ينظر ضمائر الغيبة اصولها وتطورها (بحث) : ٢٦ .

(٢) لحن العامة /الزبيدي : ١٣٩ .

(٣) الإيضاح في علل النحو : ٦٦ .

(٤) البيان والتبيين : ٢٨/٣ .

هذه المسألة ، فكانت هذه اللغة مما قوَّت ما ذهبوا إليه فيما سبق من أنَّ الواو والياء من (هو) و(هي) هما زائدتان وليستا من أصل الضمير ، بدليل حذفهما على هذه اللغة ، بخلاف البصريين الذين ذهبوا إلى أنَّهما من أصل بنية الضمير .

فما ذكره الكوفيون لم يكن اجتهادًا فرضته الطبيعة الخلافية بسبب ما كان يدور بين البصريين والكوفيين من مناقشات حول هذه المسألة أو تلك ، وإنَّما ما قالوه يؤيده السماع ، وهو محجوج بكلام العرب .

أما المحدثون فقد فسّروا عملية الاختزال صوتيًا ، وذلك أنَّ وقوع الضميرين (هو) و(هي) وكلّ منهما عبارة عن مقطع طويل مفتوح بعد الألف،يعني أنَّه تتابع في السلسلة الكلامية مقطعان طويلان مفتوحان (ص+ ح + ح) و (ص + ح + ح) ، أي : (صامت + حركة طويلة) والمقاطع الطولية المفتوحة بسبب طول الفترة الزمنية التي يستغرقها نطقها بالقياس إلى المقاطع القصيرة ، تمثل عنصر خلخلة وتوهين في الكلمة أو السلسلة الكلامية ، فما كان من هؤلاء الناس مدفوعين بحسهم اللغوي إلا أنْ عمدوا إلى اختزال الحركة الطولية للضمير فحولوه بذلك من مقطع طويل مفتوح (ص + ح + ح) إلى مقطع قصير (ص + ح) هو [ه ُ] و[ه ِ] لضرب من التوازن [1] .

(١) ينظر ضمائر الغيبة : ٢٧ .

وقد أكدت الدراسات المقارنة أنَّ لهذه اللغة جذوراً وبقايا لغوية في أخواتها من اللغات السامية ، فقد استعملت اللغة السبئية ، واللغة الجرمانية الهاء أحياناً للدلالة على الضمير (هو) ، فضلاً عن شيوعها في بعض اللهجات الحديثة ، مما يدلُّ على أنَّ حذف الواو والياء من الضميرين (هو) و(هي) ظاهرة قديمة عرفتها العربية في مرحلة تاريخية بقيت آثارها في بعض اللهجات العربية [١] .

فليس ثمة شكّ في أنَّ كلّ ما يخرجون فيه عن المألوف في بعض أساليبهم ليس إلا خيارات يلجئون إليها فراراً من سياقات أو تراكيب غيرها أيسر منها ، مصداق ذلك قول سيبويه : ((وليس شيءٌ يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجهاً)) [٢] ساعده على حذفه ؛ لأنَّ تطرفه يجعله عرضة للسقوط والحذف .

والأمثلة على ذلك كثيرة ؛ منها ما حدث في عائلة اللغات اللاتينية ، إذ أنَّ معظم أصوات المدِّ المتطرف في اللغة اللاتينية قد انقرضت في اللغات المتشعبة عنها ، وكذا سرعة الأداء إذ أنَّ بعض اللهجات تميل إلى الإسراع في الكلام أكثر من غيرها فيؤدي ذلك إلى سقوط بعض أصوات المدِّ من

(١) ينظر / النحو في اللهجات العربية القديمة : ١٠٥ .

(٢) الكتاب : ٣٢/١

كلامها [١] . وقبيلة أسد أحداها فالبدوي بطبعه يميل إلى اختزال بعض الأصوات لقلة عنايته بالنطق والسرعة في الأداء [٢] ، وذلك ميلاً إلى التخفيف اقتصاداً في الجهد المبذول ، على العكس من الحضري الذي يميل إلى التأنق في ألفاظه وتأديتها كاملةً من دون نقصان .

ثانيا :أصل ضمير جمع الغائبين (هم) :

المشهور لدى القدماء أنَّ الأصل في ضمير جمع الغائبين (هم) هو الهاء وحدها ، والميم زائدة [٣] . وإنَّما جاءوا بهذه الميم ليميزوا بين جمع الذكور والإناث في هذا النوع من الجمع . فالأول علامة الجمع فيه (هم) والآخر النون (هن) [٤] . وهذا يتفق مع وجهة نظر الباحثين المحدثين [٥] الذين أطلقوا عليها وحدها (القاعدة الضميرية) ، في حين أطلقوا على الميم اسم (العماد) ، ولعلهم ((زادوا هذه الميم تكثيرًا للاسم لتعمده ، أي : تقوِّيه ؛ لأنَّ الاسم لا يكون على حرف واحد ، ويقوِّي ذلك ما احتج به الكوفيون – كما سبق – من أنَّ الضمير (هو) و(هي) الهاء ، وأنَّ الواو والياء منهما

(١) ينظر في الأصوات اللغوية/ دراسة في أصوات المدِّ العربية : ٥٧ .

(٢) في اللهجات العربية : ٢٨ .

(٣) المساعد : ٩٩/١ .

(٤) ينظر ضمائر الغيبة أصولها وتطورها : ٣٥ .

(٥) ينظر نظرة تحليلية مقارنه على الضمائر العربية (بحث) : ٦١ .

زائدتان جيء بهما لتقوية الاسم وتكثيره)) [١] ، في حين رأى أبو علي الفارسي[٢] أنَّ (هم) بكماله الضمير وأنَّ الميم من تمامه وليست زائدة .

* المعروف عن الضمير جمع الغائبين (هم) إذا وقع بعدها اسم معرف بـ (أل) فالمشهور فيه ضم الميم [٣] على سبيل الاتباع الحركي ، قال تعالى : ﴿هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة٢/١٢] ، وقوله تعالى : ﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون٢٣/١١] .

* وحكى الفراء عن بعض بني تميم،وهم من قيس أنَّهم كانوا يكسرون الميم في نحو ذلك ، قال الفراء : ((العرب جميعًا يقولون (هُم القضاةُ) فيرفعون الميم من(هم) عن الألف واللام إلاّ سُليمًا فسمعت بعضهم يكسر الميم)) [٤] ،

ومن ذلك ما أنشده قطرب لعروة بن الورد [٥] :

ألا إنَّ أصحاب الكنيفِ وجدتُهُم هُمِ النّاسُ لمّا أخصبوا أو تموّلوا

---

(١) ينظر/النحو في اللهجات العربية القديمة : ١٠٥ .

(٢) المساعد : ٩٩/١ .

(٣) ينظر / ارتشاف الضرب : ٤٦٩/١ . شرح المفصل لابن يعيش : ١٣٢/٣ .

(٤) ينظر قوله في ارتشاف الضرب : ٤٦٩-٤٧٠ .وينظر /شرح المفصل لابن يعيش و لهجة قبيلة سليم : ٤٦٢

(٥) ينظر البيت في سر الصناعة : ٥٥٨/٢ . شرح المفصل لابن يعيش : ١٣٢/٣ .

وقول الآخر[١] :

فهُمُ بِطانتُهُم وهم وزراؤُهُم وهُمِ القُضاةُ ومنهُمِ الحكامُ

وتعليل لغة الكسر هذه متأتٍّ من انَّه لمـــَّا كانت الميم من (هـــم) هـــي بالأصل ساكنة ، كسروها على أصل التقاء الساكنين ، ولم يعدلوا إلى ضمها إذا تلتها الألف واللام كما عرفت ذلك العربية الفصحى ، فكســـروها تشـــبيهاً لها بدال (قد) ولام (هل) إذا تلاها ساكن نحو : (قـــد ِانقطـــع) و(هـــل ِانطلق)[٢] . والميل الى الكسر هو الأصل الذي تطور عنه الميل الى الضـــم على سبيل الإتباع ؛ لقصد السرعة في النطق . أما حالة الكسر فلا بدَّ من أنَاة ٍ في النطق تنسجم مع ميل قبيلة سُليم الى الكسر[٣] .

ثالثا : ضمائر الرفع المتصلة

أ . ضميرا المخاطبة والمخاطب :

* المشهور في تاء الضمير أنْ تكون مضمومة مع المتكلم ، ومفتوحة مـــع المخاطب ، ومكسورة مع المخاطبة ، نح : ((كتبتُ ، وكتبتَ ، وكتبتِ)) و ((إذا وقعت بعدها الهاء فلا تمدّ حركة تـــاء الضـــمير ، تقـــول : ضـــربتُهُ

(١) شرح المفصل : ١٣٢/٣ .

(٢) سر الصناعة : ٥٥٩/٢ ، شرح المفصل : ١٣٢/٣ . وينظر في الأصوات اللغوية / دراسة في أصوات المد العربية : ٢٤٤ .

(٣) لهجة قبيلة سليم : ٤٦٢ .

وضربتَهُ وضربتِهِ)) [١] . وروى سيبويه عن الخليل إلحاق كسرة تاء الضمير في المفرد المؤنث المخاطبة ياء ، إلاّ أنَّه أبهم تسمية أصحاب هذه اللغة . قال : ((وحدثني الخليل أنَّ أناساً يقولون : ضربتيهِ ، فيلحقون الياء ، وهذه قليلة)) [٢] . ونُسُبِت هذه اللغة إلى بني ربيعة[٣] . وعليها قول الشاعر[٤] :

رَميْتيهِ فَأصْمِيتِ وَمَا أخْطَأتِ الرَّمْيَه

بِسَهْمينِ مَليحَينِ أَعَارَتكِيْهما الظَّبْيه

وقول الآخر [٥] :

أَمَتِّيني فَهل لّكِ أَنْ تردِّي حَياتي مِنْ مَقالكِ بِالغُرور

وقول الآخر[٦] :

فَغَير عَجيبٍ إنْ رأيتِيهِ أَنْ تَري تلهب ضربٍ في شواك مبين

---

(١) ينظر/الكتاب : ٢٠٠/٤

(٢) الكتاب : ٢٠٠/٤ وينظر / مجالس ثعلب : ١٤١/١ .

(٣) ينظر /ارتشاف الضرب : ٤٦٣/١، ٤٦٨ وتذكرة النحاة : ٨٠ وشقاء العليل : ٢٧٨ .

(٤) ينظر / المشكل : ٤٠٣/١ وارتشاف الضرب : ٤٦٣/١ ويروى صدره : (رويته فأقصدت) وخزانة الأدب :

(٥) الشعر و الشعراء : ٣٣٦ (السقا) .

(٦) عبث الوليد : ٢٢٥ .

بإشباع الكسرة في (رميتيــه) و(أمتــِّيني) و(رأيتيــه) ، ومنه أيضًا ما جاء في الحديث الشريف : ((أعصرتيــهِ)) [١] ، وقــول ابن مســعود : (لَئن كُنْت قِرأتِيْه لِقَدْ وجدْتيه) [٢] ، وعزا أبــو العــلاء المعــري [٣] هــذا الاستعمال اللغوي إلى عدي الرِّباب ، إلا أنَّ الجــوهري رأى أنَّ الرِّبــــاب خمس قبائل وهم : ضبة ، وثور ، وعكل ، و تيم ، وعدي .

وهي نفس القبائل التي نُسِب إليها أنَّها كانت تلحق الكاف التي هــي علامــة الإضمار إذا وقعت بعدها هاء الإضمار ألفــاً في التــذكير فيقولــون فــي : أُعطيكَهُ : أُعطيكاهُ [٤] .

وفي نظر القدامى أنَّ هذه الياء ما هي إلا تحقيق و توكيد للكسرة قبلها ؛ لأنَّ الكسرة من الياء[٥] . ونحن نعلم أنَّ الفرق بين الكسرة والياء المدِّ هو في في كمية الصوت فالياء المد ما هي إلاّ كسرة طويلة ، كذلك ألف المدِّ هــي فتحة طويلة ، وواو المدِّ هي ضمة طويلة ، مع ملاحظة أنَّ الصوت يــزداد

(١) مسند احمد : ٣٤٠/٣ ،٣٤٧ ، إعراب الحديث للعكبري : ٨٥.

(٢) ينظر قصة هذا القول : صحيح البخاري (مج ٣) ٥٩/٦ و(مج٤) ٦٣/٧ ، وسنن ابن ماجة : ٦٤٠/١ .

(٣) عبث الوليد : ٥٠٦ .

(٤) ينظر عبث الوليد : ٥٠٦ ، وشفاء الغليل : ٢٧٨ .

(٥) ينظر الكتاب : ٢٤٢/٤ ، وشرح المفصل : ٢٧٨ ٣/ ٨٦ .

وضوحاً إذا طالت حركته [١] ، وهذا ما يفسِّر تميز أصوات المدِّ بقوة إسماع عالية تفوق قوة إسماع الصوامت [٢] .

ومن المظنون لدى الباحثين المحدثين أنَّ الياء في قولهم : (ضـــربتيه) ونحوها ، هي علامة التأنيث عندهم لأنَّ الفصل بين المذكر والمؤنث بالحرف هو أشدّ توكيدًا وتحقيقاً من الفصل بالحركة ، كما فصلوا بين المذكر والمؤنث بالنون في نحو : ذهبـــوا ، وذهبـــن ، وأنتـــم ، وأنتـــن [٣] .

وعلة ذلك لديهم أنَّ الحركات ليست لها رموز مستقلة بها فـــي الكتابـــة سوى العلامات (ـــَـــِـــُـــ) وهذه العلامات كثيرًا ما يهملها الناس في الكتابة على العكس من حروف المدِّ فإنَّ لها رموزًا مستقلة في الكتابـــة [٤] . وممـــا يقوي الظَّنَّ أنَّ الياء في (ضربتيه ِ) ونحوها هي علامة التأنيث سماع مثـــل هذا الاستعمال اللغوي في لهجة البغداديين ، كما أنَّها شائعة بيننا فـــي لهجـــة الأنباريين الحديثة ، وفي لهجة أهل الزبير ، حيث نُقل عن الأخيرين قولهم في المفرد المذكر المخاطب (رِحْتَ) بفتح التاء،وفي المؤنث المخاطبة (رَحْتِي) بفتح الراء والتاء وإلحاق الياء ، وعندنا في الأنبار ، وبغداد تلفظ (رَحْتِـــي)

(١) أبرز خصائص لغات هذيل (بحث) : ٢٣٤ .

(٢) في الأصوات اللغوية ، دراسة في أصوات المدّ العربية : ٤٥ .

(٣) ينظر الكتاب : ١٩٩/٤ – ٢٠٠ .

(٤) ينظر علم اللغة العام / الأصوات : ٨٢ .

بفتح الراء وكسر التاء وإلحاق الياء [١] ، ففي كلٍّ ذلك يجعلون الياء علامة للمؤنث ، وكأنَّهم جعلوا المفرد المذكر هو الأصل وميزوا المؤنث عنه بالياء ، بدليل بقاء فتحة الضمير مع المؤنث ، أو انقلابها كسرة للمجانسة علماً أنَّ من النحاة من عدَّ الياء في نحو : (تضربين) و(تقومين) ونحو ذلك ، علامة كتاء التأنيث ، في نحو: (قامت) وليست ضميرًا [٢] .

من جانب آخر أثبتت الدراسات المقارنة للمحدثين أنَّ هذا الاستعمال اللغوي قديم في الفصحى ، فقد وجدوا أنَّ الفعل الماضي المسند الى تاء الضمير المؤنثة المخاطبة تكون فيه هذه التاء منتهية بكسرة طويلة ، ويرجِّح ذلك أنَّ بعض اللغات السامية كالعبرية ، والآرامية ، والحبشية قد احتفظت بهذه الكسرة الطويلة كما سجلت ذلك النصوص[٣] .

وهو ما يتفق مع وجهة نظر برجشتراسر الذي ذهب إلى أنَّ المفرد المؤنث المخاطبة ((قد يكون (قتلتيه ِ) ، وقد يكون (قتلته) ، والمدّ هو الأصل ، والقصر مأخوذ من (قتلت ِ) بغير الضمير الملحق))[٤] ، فإذا ثبت ذلك فهذا يعني أنَّ العربية قد قصرت الكسرة الطويلة ، غير أنَّه قد بقيت

(١) ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة ١٠٧ .

(٢) ينظر همع الهوامع : ١/ ٥٧ .

(٣) ينظر المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٤) التطور النحوي : ٧٨ .

بعض القبائل العربية محتفظة بهذه الكسرة الطويلة كما في لغة ربيعة وعدي الرِّباب .

ومهما يكن من أمر فلا أستبعد أنَّ إلحاق هذه الياء إنَّما هو لإفادة تقوية الهاء وتوضيحها ، لخفتها وخفائها [١] ، وكأنَّ الياء هنا هي من صلة الهاء التي تكون في نحو : لديهي ، وعليهي ، وفيهي ، التي تفيد تقوية الهاء لضعفها وخفائها ، ((ولكن تقدمها على الهاء لا يعني انتفاء هذه الفائدة منها ، بل العكس من ذلك فإنَّ وقوع الياء قبلها أفادت تقوية الهاء أكثر من وقوعها متأخرة عنها بسبب أنَّ الياء في قولهم (ضربتيه) هي علامة التأنيث كما ترجح ذلك ، لذا لا يجوز حذفها ، في حين أنَّ الياء في قولهم : لديهي ، وعليهي ، وفيهي ، ليست من أصل الكلمة لذا لا يجوز حذفها وإثباتها)) [٢] .

ب. واو الجماعة .

الاختلاف في حركة الواو

المشهور في فصيح الكلام انَّ واو الجماعة ضمير رفع مع دلالتها على جمع الذكور . وفي لغة بعض العرب تكون علامة دالة على الجمع عندما يسند الفعل الى فاعل ظاهر جمع نحو : ((قاموا الزيدون ، ويقومون الزيدون)) فالواو في (قاموا) و(يقومون) علامة دالة على الجمع وليست

(١) الكتاب : ٤/ ٢٠٠ .

(٢) النحو في اللهجات العربية القديمة : ١٠٧ .

ضمير رفع للفاعلية ، وعرفت هذه اللغة باسم (لغة أكلوني البراغيثُ) وتعزى الى طيئ ، وأزدشنوءة ، وبلحارث بن كعب،وجميعهم من اليمن [1] وفي حركة واو الجماعة إذا تطرفت وكان ما قبلها مفتوحًا وما بعدها ساكناً ثلاث لغات :

أولا : لغة الضم :

وهي اللغة المشهورة وهي الأكثر لأنَّها واو جمع [2] ، كقولك : (اتقوا الله) و(آمنوا بالله) ، قال تعالى : ﴿ اشْتَرَوُاْ الضَّلَالَةَ ﴾ [البقرو٢/١٦] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ [البقرة٢/٢٣٧) .

وفي علة تحريكها بالضم أقوال :

أ. إنَّها حُرِّكت بالضم ؛ لأنَّها اسم،فقويت بما هو من جنسها للفرق بينها وبين الواو الأصلية التي ليست باسم في نحو (لو) و (أو) [3] ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا ﴾ [الجن ٧٢/١٦] .

(١) ينظر ارتشاف الضرب : ٣٥٤/١ ، مغني اللبيب : ٢/ ٣٦٥ ، شرح ابن عقيل : ١/ ٤٦٨ .
(٢) ينظر الكتاب : ٤/ ١٥٥ ، ومعاني القرآن للاخفش : ١/ ١٥ .
(٣) شرح اللمع : ٣٧٧/٢ ، الإيضاح في شرح المفصل : ٣٦٢/٢ .

ب. وقيل : حُرِّكت بالضم ؛ لأنَّ الضمة هنا أخفّ من الكسرة الحركة الأصل ، لأنَّها من جنس الواو ، وعلى ذلك يكون الضم أولى [١] .

ج. وقيل : إنَّما حُركت واو الجماعة بالضم في هذه المواضع ؛ لأنَّها حُرِّكت بحركة الحرف المحذوف قبلها الذي حركته الضم ، فالأصل في نحو (اشتروا : اشتَريُوا) بضم الياء ، فقلبت الياء ألفاً ، ثم حذفت لالتقاء الساكنين الالف والواو ، فحُرِّكت بحركة الياء المحذوفة وهي الضم [٢] .

د. وقيل : حُرِّكت بالضم ؛ لأنَّها ضمير فاعل مثل التاء في (قمتُ) [٣] .

وفي تقديري إنَّ واو الجماعة لما كانت ضميرا للرفع حُرِّكت بأقوى الحركات وهي الضمة ؛ لأنَّها من جنسها كما أنَّ الفتحة من جنس الألف والكسرة من جنس الياء . أما تشبيهها بواو (لو) فقول فيه نظر ؛ لأنَّ واو الجماعة هي طارئة على الفعل ، وهذا يعني أنَّها قد تحذف عند زوال موجب اثباتها .

في حين أنَّ واو (لو) من أصل الكلمة فلا يجوز حذفها فضلاً عن ذلك إنَّ منهم من يضم واو (لو) ومنه قراءة الأعمش[٤] : ﴿ لَوُاسْتَطَعْنَا ﴾

(١) ينظر البيان للأنباري : ٥٨/١ .

(٢) ينظر البيان للانباري : ٥٨/١ ، والتبيان في إعراب القران : ٣١/١ ــ ٣٢ ، والإيضاح في شرح المفصل : ٢/ ٣٦٢ .

(٣) ينظر المصدر نفسه : ٥٨/١ ، و٣١/١ ــ ٣٢.

(٤) المحتسب : ١/ ٢٩٢ .

[التوبة٩/٤٢] ، وقراءة المطوعي[١] ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً ﴾ [الكهف١٨/١٨] بضم الواو من (لو) مما يجعل تشبيهها بواو (لو) قول غير مقنع[٢] .

والراجح لدي أنَّ ميل أصحاب هذه اللغة الى نوع معين من الحركات وهو(الضم) إنَّما هو لشيوعه على ألسنتهم أكثر من غيرها ، بغض النظر عن تجانس الحركات ، بدليل قراءة الأعمش السابقة : ﴿ لَوُاسْتَطَعْنَا ﴾ بضم الواو على الرغم من أنها ليست واو الجماعة [٣] ، فغلبة هذا النمط من الحركات في أدائهم وانتشاره بينهم فرضت عليهم أنْ يستخدموه كذلك للتخلص من الساكنين .

ثانيا : لغة الكسر .

ومن جاء بها مكسورة من العرب ، فإنَّه كسرها على الأصل في التحريك لالتقاء الساكنين . قال سيبويه : وقد قال قوم ﴿ لَا تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾، جعلوها بمنزلة ما كسروا من السواكن ، وهي قليلة)) [٤] ، في حين عبَّر عنه الأخفش أنَّه ((لما وجدوا حرفاً ساكناً قد لقي ساكناً ، كسروا كما يكسرون في غير هذه الموضع ، وهي لغة شاذة)) [٥] . أما أبو علي الفارسي [١] ، وابن

(١) المحتسب : ١/ ٥٥ ، والإتحاف : ٢٨٨ .

(٢) وهو مذهب الدكتور جمهور الخماس أيضا . ينظر النحو في اللهجات العربية القديمة : ١٠٨ .

(٣) ينظر المشكلات اللغوية في القراءات القرآنية : ٩٧ .

(٤) الكتاب : ٤/١٥٥ .

(٥) معاني القران : ١/٤٥ .

جني[٢] فذهبا إلى أنَّ من كسر واو الجماعة شبهها بواو (لو) فقد جاءت مكسورة في قوله تعالى : ﴿ لَوِاطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ بكسر الواو .

والظاهر أنَّ ما ذكره أبو علي الفارسي ، وابن جني في تعليل لغة الكسر لا يخرج عمَّا ذكره سيبويه والأخفش في تفسير ذلك ؛ لأنَ حركة واو (لو) إنَّما كُسرت تخلصاً من التقاء الساكنين أيضاً ، وهي في الأصل ساكنة ، فلما لقيت ساكناً آخر كُسرت على أصل التقاء الساكنين .

وعلى هذه اللغة وردت قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبي إسحاق ، وأبي السمال[٣] ﴿اشْتَرُوِا الضَّلَالَةَ ﴾ بكسر الواو ، وقراءة ابن أبي اسحاق[٤] ﴿فَتَمَنَّوِا الْمَوْتَ﴾ [البقرة٢/٩٤) وقراءة يحيى بن يعمر[٥] ﴿وَعَصَوِا الرَّسُولَ﴾ [النساء ٤/٤٢] بكسر الواوت فيها جميعا .

ثالثا : لغة الفتح .

وهي أقلُّ اللغات في تحريك واو الجماعة عند ابن جني[٦]، وعليها قراءة أبي السمال[١] ﴿اشْتَرُوَا الضَّلَالَةَ﴾ بفتح الواو ، ولعل ما سهَّل عليهم تحريك واو

---

(١) التكملة : ١٨٠ - ١٨١ .

(٢) المحتسب : ١/ ٥٥ .

(٣) إعراب القران للنحاس : ١/١٤٢ ، مختصر في شواذ القراءات : ٢ .

(٤) اعراب القران للنحاس : ١/ ١٩٩ .

(٥) البحر المحيط : ٣/ ٢٥٣ .

(٦) المحتسب : ١/٥٥ .

الجماعة بالفتح ، أنَّهم وجدوا أنَّ الفتح أخفُّ الحركات ، ولمـــَّا كان ما قبلهـــا مفتوحاً حرَّكوا هذه الواو بالفتح اتباعاً للفتحة قبلهـــــا تخلصـــاً مـــن التقـــاء الساكنين [٢] .

والحق أنَّ هذه اللغة لا زالت آثارها باقية الى الآن ، فقد نقل عن لهجات البدو المتجولين فيما بين الزبير والكويت أنَّهم كانوا يُحرِّكون أحد الساكنين إذا التقيا بالفتح ، كما في أحد أمثالهم (بَنَـــوَا الْبيت وأحيوَ الميِّت)[٣] بفتح الواو من الفعلين (بنوا وأحيو) منعاً لالتقاء الساكنين [٤] .

(١) اعراب القران للنحاس : ١٤٢/١ ، مختصر في شواذ القراءات : ٢ . ، المحتسب : ٥٥/١ .

(٢) ينظر اعراب القران للنحاس : ١٤٢/١ ، والمحتسب : ١/ ٥٥ .

(٣) مثل يضرب للأولاد والأحفاد يقومون مقام آبائهم فكأنهم بذلك قد أحيوهم .

(٤) ينظر المشكلات اللغوية في القراءات القرآنية : ٦٠

مصادر البحث ومراجعه [1]

(أ)

ـ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربعة عشر** : البنا ؛ أحمد بن محمد (ت١١١٧) ، تصح : علي محمد الضباع ، دار الندوة ، بيروت ، لبنان ، (د٠ ت) .

ـ **ارتشاف الضرب من لسان العرب** : أبو حيان الأندلسي ؛ أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٤٥) ، تح : مصطفى أحمد النحاس ط/١ ، مط . النسر الذهبي ، مصر ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

ـ **إعراب القرآن** : أبو جعفر النحاس ؛ أحمد بن محمد (ت ٣٣٨) تح د. زهير غازي زاهد ، مط العاني ، بغداد ، ١٩٧٧ .

ـ **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين** : أبو البركات الأنباري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر (د. ت.) .

ـ **الإيضاح في شرح المفصل** : ابن الحاجب ؛ أبو عمرو عثمان بن عمر ، تح : موسى بناي العليلي ، مط. العاني ، بغداد ، ١٩٨٢ .

---

* وهذه أهم المختصرات المستخدمة في مسرد المصادر : تح : تحقيق ، تصح : تصحيح ، ط : الطبعة ، مط : المطبعة ، مكـ : المكتبة .

ـ **أبرز خصائص لغات هذيل** : د. عبد الرحمن محمد إسماعيل ، مجلة معهد اللغة العربية ، ع/٢ المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤ .

(ب)

ـ **البحر المحيط** :أبو حيان الأندلسي ، مطابع النصر الحديثة ، السعودية ، (د. ت.)

ـ **بقايا اللهجات العربية في الأدب العربي** : أنـــولـيتمان ، مجلـــة كليـــة الآداب ، جامعة فؤاد الأول ، مايو – ١٩٤٨ .

ـ **البيان في غريب إعراب القران** : أبو البركات الأنباري ، تح د.طه عبد الحميد والسقا ، القاهرة ، ١٩٦٩

ـ **البيان والتبيين** : الجاحظ ؛ أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥) ، تح : عبد السلام هارون ، مكـــ . الخانجي ، القاهرة .

(ت)

ـ **تذكرة النحاة** : أبو حيان الأندلسي ؛ ط/١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – ١٩٨٦ .

ـ **التكملة** : أبو علي الفارسي ؛ الحسن بن احمد بن عبد الغفار(ت٣٧٧هـــ)، تح: د. كاظم بحر المرجان دار الكتـــب ، جامعـــة الموصـــل ، ١٤٠١-١٩٨١م .

ـ **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه** : د. رمضان عبد التواب ، ط١ ، مط. المدني ، القاهرة ، ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤م .

ـ **التمام في تفسير أشعار هذيل** : ابن جني ، تح: د. أحمد ناجي القيسي ود. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب ، مط.العاني ، بغداد ، ١٩٦٢م .

ـ **تهذيب اللغة** : الأزهري ؛ أبو منصور . محمد بن أحمد (ت ٥٣٧ هـ) تح : نخبة من الأساتذة ، مطابع سجل العرب ، مصر .

(ح)

- **حجة القراءات** : أبو زرعة ؛ عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (أواخر ق.٤) ، تح : سعيد الأفغاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩ .

(خ)

ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** : البغدادي ؛ عبد القادر بن عمر (ت١٠٩٣هـ) ، تح : عبد السلام هارون ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م .

ـ **الخصائص** : ابن جني ؛ تح : محمد علي النجار ، مط. دار الكتب المصرية ، ١٩٥٢-١٩٥٧ .

(د)

ـ **دراسة اللهجات العربية القديمة** : د. داود سلوم ، ط /١، مكـ.لاهور، باكستان ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

ـ **دقائق التصريف** : الموءدِّب ؛ القاسم بن محمد بن سعيد (ق.٤هـ) ، تح : د. أحمد ناجي القيسي ، ود. حاتم الضامن ، ود. حسين تورال ، مط. المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

(س)

- **سر صناعة الأعراب** : أبو الفتح بن جني ، تح: د. حسن هنداوي ، ط/١، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

- **شاهد القراءات عند السيوطي وعلماء اللغة القدامى**/ دراسة صوتية فونولوجية (بحث) : د. يحيى القاسم ، مجلة جامعة مؤتة للبحوث والدراسات / سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مج/٨ ، ع/٥ ، رجب ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

ـ **شرح التسهيل** : ابن مالك ؛ تح : محمد عبد القادر عطا ، وطارق فتحي السيد ، ط/١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

ـ **شرح جمل الزجاجي** : ابن عصفور ؛ أبو حسن علي بن مؤمن (ت ٦٦٩هـ) ، تح : د. صاحب أبو جناح دار الكتب جامعة الموصل ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

ـ **شرح الكافية في النحو** : رضي الدين الأستراباذي ؛ قدم له ووضع حواشيه ، د. أميل بديع يعقوب ، ط/١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م .

ـ **شرح اللمع** : ابن برهان العكبري ؛ أبو القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي (٤٥٦هـ) ، تح : د. فائز فارس ، ط/١ ، الكويت ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م.

ـ **شرح المفصل** : ابن يعيش ؛ موفق الدين يعيش بن علي (ت٦٤٣هـ) ، تح: أحمد السيد ، مراجعة : إسماعيل عبد الجواد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر ، (ب. ت) .

ـ **الشعر والشعراء** : ابن قتيبة ، تح : أحمد محمد شاكر ، ط/٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

ـ **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل** : شهاب الدين الخفاجي ، مط. المنيرية بالأزهر ، ١٩٥٢ .

(ص)

ـ **الصحاح** : الجوهري : إسماعيل بن حماد (ت ٣٦٣هـ) ، تح : أحمد عبد الغفار العطار ، ط/٤ ، دار القلم ، للملايين ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .

ـ **صحيح البخاري** : البخاري ؛ محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ) ، تح: د. مصطفى ديب البغا ، ط/٣ ، دار ابن كثير- اليمامة ، بيروت ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

(ض)

ـ **ضرائر الشعر** : ابن عصفور ، تح: السيد إبراهيم محمد ، ط/١ ، دار الأندلس ، ١٩٨٠ .

ـ **الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر** : الآلوسي ؛ محمود شكري (١٢٧٠هـ) ، شرح محمد بهجة الأثري بغداد ، ١٩٢٢ .

ـ **ضمائر الغيبة أصولها وتطورها** : د. فوزي الشايب ، مجلة حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، حوليات كلية الآداب ، الحولية الثامنة ، الرسالة السادسة والأربعون ، ١٩٨٦ - ١٩٨٧م .

ـ **الضمائر في اللغة العربية** : د. محمد عبدالله جبر ، ط/١ ، دار المعارف - مصر ، ١٩٨٣ .

(ظ)

ـ **ظاهرة الإعراب في اللهجات العربية القديمة** : د. نهاد الموسى ، مجلة الأبحاث ، السنة (٢٤) الجزاء (١ – ٤) ، بيروت ، كانون الأول ١٩٧١م.

(ع)

ـ **عبث الوليد في الكلام على سفر أبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري الطائي**: أبو العلاء المعري ، القاهرة ،١٩٧٠م .

ـ **علم اللغة العام** / الأصوات : د. كمال بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٥م .

(ف)

ـ **في الأصوات اللغوية** / دراسة في أصوات المدِّ العربية : د. غالب المطلبي ، بغداد ، ١٩٨٤ .

ـ **في اللهجات العربية** : د. إبراهيم أنيس ، ط/٦ ، مكـ . ألانجلو المصرية ، ١٩٨٤ .

(ق)

ـ **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث** : د. عبد الصبور شاهين ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٦ دار النهضة ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

(ك)

ـ **الكتاب :** سيبويه ؛ أبو بشر عمرو بن عثمان (ت١٨٠هـ) ، تح: عبد السلام هارون ، ط/٦ ، عالم الكتب ، بيروت ، (د. ت) .

(ل)

ـ **لحن العوام** : الزبيدي ؛ أبو بكر محمد بن الحسن بن مذحج (ت ٣٧٩) ، تح د. رمضان عبد التواب ، ط/١ المط . الكمالية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

ـ **لسان العرب** : ابن منظور ؛جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

ـ **اللهجات العربية في التراث** : د. أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

ـ **لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة** : غالب فاضل المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨م .

ـ **لهجة قبيلة أسد** : علي غالب ناصر ؛ ط١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ١٩٨٩م.

(م)

- **مجالس ثعلب** : أبو العباس احمد بن يحيى ، تح : عبد السلام هارون ، ط/٥ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٧م .

ـ **المحكم والمحيط الأعظم** : ابن سيده (ت ٤٥٨هـ) ، تح : محمد علي النجار، ط/١ ، مط. مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، ١٣٩٣- ١٩٧٣م .

ـ **مختصر في شواذ القراءات:** ابن خالويه ، عني بنشره ، ج ، برجشتراسر ، دار الهجرة ، (د. ت.) .

ـ **المساعد على تسهيل الفوائد** : ابن عقيل ، تح د: محمد كامل بركات ، دار الفكر ، دمشق ،١٩٨٠م.

ـ **مسند أحمد** : أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) ، مؤسسة قرطبة ، مصر (د. ت.) .

ـ **مشكل إعراب القران** : القيسي ؛ مكي بن أبي طالب ، تح د: حاتم الضامن ، ط/٢، بيروت ١٩٨٤م .

ـ **المشكلات اللغوية في القراءات القرآنية** : خولة تقي الدين الهلالي ، رسالة ماجستير مقدمة إلى مجلس كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٦٩م.

ـ **مشكل إعراب القران** : القيسي ؛ مكي بن أبي طالب ، تح د: حاتم الضامن ، ط/٢ ، بيروت ،١٩٨٤م.

ـ **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع:** البكري ؛ أبو عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ) ، تح : مصطفى السقا ، ط/٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

ـ **النحو في اللهجات العربية القديمة** : جمهور كريم الخمـــاس ، رســـالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة البصرة (ب. ت.) .

ـ **همع الهوامع شرح جمع الجوامع** : السيوطي، تصح : محمد النعساني، دار المعرفة ، بيروت ، (د. ت.) .